مقامات الإمامة الإلهية ومراتبها في الخطاب الحسيني
- قراءة في أسلوبية التوظيف النفسي -

الأستاذ المساعد الدكتور
صباح عيدان حمود العبادي
جامعة ميسان ـ كلية التربية
sabahedan4@gmail.com

مقدمة تمهيدية:

إن حتمية الوجود وطبيعته، تُثبت حاجة الاتصال بين الأرض والسماء عبر قناة محورية ضرورية، فالاتصال بين الخالق والمخلوق لم ولن ينقطع بانقطاع الوحي؛ ولما كان الوحي من ملازمات النبوة؛ فلابد من وجود امتداد لهذه النبوة يمثلها في حياة الأمة، وليس بالضرورة إن يكون هذا الاتصال وحياً؛ بل هو اتصال روحي هدايتي يسببه الالهام، أو المعرفة المتجددة، أو وراثة العلم عن النبيﷺ، وهو ما يحكم به العقل ويثبته الشرع. وتسمى هذه القناة في العرف السياسي الخلافة وفي العرف العقائدي الإمامة. وهذه الخلافة أو الإمامة (الالهية) تتمتع بمواصفات وقيم جعليّة تشريعية وتكوينية، فصّلت عنها كتب العقائد وذكرتها التفاسير في ضوء قراءات المفسرين لبعض الآيات التي اشارت إلى هذه القيم التي أرتأى البحث أن يسميها مقامات. فإنّ هناك آيات تدلّ على المقامات العالية لأهل بيت النبيّ ﷺ، والمراتب الجعلية التي خصَّ الله تعالى بها الائمة، والتي بيّنتها زيارة عاشوراء في مقطع من مقاطعها، حيث تقول: (وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقامِكُمْ وَأَزالَتْكُمْ عَنْ مَراتِبِكُمُ الَّتي رَتَّبَكُمُ اللهُ فيها)[1].

ونعني بالمقامات هنا الدرجات التي يتمتع بها الإمام دون غيره من الناس، لأننا نعتقد أن الإمامة منصب الهي جعلّي على وفق المنهج القرآني، وكفى بقوله تعالى مخاطباً ابراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:١٢٤)، وهذا الجعل لم يحصل عليه ابراهيم ألا بعد أن وضع في اختبارات نجح بها وأتمها: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٢٤) أي انه حظي بدرجات أوصلته إلى مقام الإمامة الالهية.

لقد واضب أئمة أهل البيت عليهم السلام في ذكر هذه المقامات وبيانها، فكانوا لا يتوانون بالإشارة لذكرها؛ ليعرّفوا الناس بهم وبحقهم؛ وليكون الاقتداء بهم عن وعي وعن استحقاق حصلوا عليه بصبرهم وجهادهم وتضحيتهم، وانهم يستحقون أن يكونوا المصداق الأمثل لوراثة وخلافة الأرض بعد مقام النبوة والرسالة التي كانت لجدّهم صلى الله عليه وآله، ينظر مثلا الكافي ١: ٢٠٠ فاستحقوا مقام الخلافة لله تعالى، وجُعلوا اجتباءً واصطفاءً حلقةُ الوصل بين العبد والمعبود؛ لأن الإمامة ((هي الهداية الإيصالية الملكوتية النابعة من العلم والقدرة، فالإمام هو رابطة تكوينية بين الخالق والمخلوق))[٢].

ولكل خطاب وظيفة بيانية واسلوب يميّزه؛ يهدفان إلى التأثير على المتلقي باتجاه ما يؤمن به صاحب الخطاب، فلا مناص من الاقرار بقدرة النص الخطابي على تبيان الاثار النفسية والمعالم الوجدانية لمبدعه التي يريد ان يؤثر بها على السامع ويجعله منفعلاً بخطابه سلباً أو إيجاباً، ويثير في نفسه مكامن الخير والشر؛ لأن النفس عند دارسيها تدّل على ((القوى الكامنة في الجسم الانساني، والتي هي مجمع عواطف الخير ونوازع الشر، ومستقرُّ الغرائز والنزعات والعواطف والشهوات المحركة لهذا الجسم المادي في تصرّفه واتجاهاته))[٣]. وتحتاج النفس الانسانية في وجودها وفي جميع مستوياتها في التصنيف القرآني (الأمارة واللوامة والمطمئنة) إلى مثيرات داخلية، تحركها إلى انماط من السلوك الفعلي او العاطفي، وتُعّد اسلوبية الخطاب ونسقه في زمان ما ومكانه من المؤثرات النفسية المهمة؛ لذا ينبغي لهذا الخطاب أن يمتلك من القدرة على تثوير انفعالات النفس وتوجيهها في مسارات محددة، وتوظيفها في معرفة النمط السلوكي الذي ينبغي عيلها أتباعه.

وشخصية صاحب الخطاب هي الجزء الأكبر في تقبّل هذا الخطاب، والتعريف بها للمتلقي يكون قناة رابطة تكشف الخفيّ في هذه الشخصية؛ لذا فالأسلوبية النفسية تضع أثر الخطاب ((وسيلة للولوج إلى نفسية مبدعه، من خلال المعجم الافرادي والمعجم التركيبي للغة الحاملة للخطاب))[٤]، فهي من منظورها ترى أن الأسلوب ((قادر على إدراك كلّ ما يتضمّنه فعل الكلام من أساليب أصليّة تتوفر على عناصر الفرادة أوجدتها طاقة خلاقة منبثقة من نفس مبدعه وتفرّده في الإلقاء وقدرته على القول وتمكنه من التعبير))[٥]، فهي بمثابة دراسة السيرة الذاتية للمبدع، ولاسيما اذا كانت هذه الشخصية المبدعة مرتبطة

بالسماء، ولكي تترك الأثر النفسي في أذهان المتلقي لخطاباتها وتوظّف هذا الارتباط والمقامات التي حصلت عليها توظيفاً حسياً ونفسياً؛ لينفعل بها المخاطَب في كلّ زمان ومكان، وتُحيل الاستجابة لقدرته على معرفة الحقائق، وعن طريق التوظيف النفسي الذي يعني في بعض تعريفاته: ((مجموعة الانفعالات التي تؤثر في النفس، وتسيطر على القوى الشعورية عند الانسان، فهي وظيفة داخلية تسرح مع أعماقه وتمتلك عليه عواطفه... وتقفز إلى سريرته فتعالج آمالها ومخاوفها، وتصور بأسها ورجاءها، تدعو إلى الانذار تارة، وإلى التبشير تارة أخرى، وإلى التحذير ثالثة))[٦]. من هنا رأى الباحث ان يبرّز مقامات الإمامة في الخطابات الحسينية، ويقرأها قراءة للأسلوب الذي قيل فيه النص، وبيان الوظيفة النفسية لهذا النص على المتلقي، وبيان مدى نوع الاستجابة ودرجاتها من أجل أن يكون الخطاب مكتمل الفهم بين المبدع والمتلقي. وهو ما قصده الباحث هنا من مصطلح اسلوبية التوظيف النفسي، فالنفسيون ينظرون إلى أن قراءة الاسلوب نفسياً من أهداف فهم النص والقراءة النفسية تُعمّق فهمنا للعمل الابداعي[٧]. فالتوظيف النفسي الذي يقصده الباحث في البحث هو عملية التأثير المتبادل بين ما يقوله المنشئ للخطاب - بما يحمل من لغة نفسية مؤثرة- إلى المتلقي.((فإن الظواهر النفسية لا تعدو ان تكون قوى خفيّة داخل الانسان تعمل على تحريك ظاهره؛ لكي يتّخذ سلوكاً معيناً يتناسب مع الباعث الداخلي))[٨]، وهذا الباعث يحتاج إلى ما يثيره؛ فتكون ((الاستجابة حيال مثير معيّن))[٩].

والخطاب الحسيني بما يحمل من افق الهداية واستشراف المستقبل؛ كان سبباً مهماً في توظيف النفس الانسانية وإثارتها وتحريكها في اتجاهات الهداية والصلاح، وبيان معالم الحق وتهيئة الانسان لمواجهة الصعاب والصبر عليها، لينفعل بها وبمعالمها الرئيسة؛ ليكون المتلقي المنفعل بهذا الخطاب سبباً لحيوية الثورة وديمومتها، وكما أن خلودها الالهي تمثل بالتضحية بالنفس وهو أقصى غاية الجود؛ أيضاً كان جزءا منه تلك الكلمات التي سطّرها الإمام الحسين عليه السلام، في مسيرة التضحية تلك، وهو ينهل من معين لا ينضب: القران الكريم وفصاحة جدّه وبلاغة ابيه، خطاباً ورسائلَ وكتباً، ((فهو من أعظم خطباء عصره، ومن أكثرهم قدرة على اختيار الالفاظ ونظمها، وهو يتّكئ في منطلقاته الاساسية على إرث بلاغي قلّ أن نجد نظيراً له بين أبناء عصره))[١٠]؛ فصدى خطاباته يُسمع اليوم بتكرارها،

فكأنه ينطق في كلِّ زمان بصوته، ويتنفس في كلّ مكان بهمساته؛ فصارت كلماته تُقرأ نشيداً يربط الامة مع أئمتها وقادتها.

وإن المتدبّر في خطابات الإمام الحسين عليه السلام التي خاطب بها الأمة جماعاتٍ وافراداً؛ يكتشفُ فيها من العمق المعرفّي في تشخيص حاجة الامة للقائد الامثل، الذي يعرف نقاط ضعفها، ويضع اليد على مكامن قوتها، ومنها يقوّي التعريف بالعلّة التي خلق الله من أجلها الأنسان وهي العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). وهذه العبادة لا يمكن أن تكون عشوائية أو غير مقصودة؛ بل هي منهج ممتزج بين الفطرة والعلم والمعرفة.

وبيّن البحث مدى قدرة هذه الخطابات على اثارة النفوس التي تلقتها وما زالت تتلقاها وتنفعل بها، وكيف استثمر الخطاب درجات النفس الانسانية لجمع شتات الامة المتبعثرة، فتخرج الحصيلة مجموعة خيرة مع الحسين عليه السلام واجهوا مركز الانحراف النفسي، فاختاروا الشهادة لكي يصلوا إلى الفتح من دون ضغط أو أجبار بل باختيار واطمئنان نفس وإرادة حرة.

فانبسطت مائدة البحث على مائدة قوامها تمهيد ومباحث عدة، فصّل الباحث خلالها بعض الاشارات النفسية والملاح المهمة لتكوين شخصية الإمام المفترض الطاعة التي أوجزها الخطاب الحسيني، وهو يرسم طريق الهداية والاصلاح في أمة جده وأبيه فكانت على الشكل الآتي.

المبحث الأول

مقام الانتماء للنبوة

يُرجِع أهلُ اللغة معنى (الانتماء) إلى الانتساب، فانتماء الولد إلى أبيه انتسابه إليه واعتزازه به، والانتماء مأخوذ من النمو والزيادة والكثرة والارتفاع[١١]، وهذا المعنى اللغوي يمكننا أن نشتق منه معنى آخر ينفعنا في اختيار المفردة عنواناً للمبحث.

فإذا أردنا أن نوسع دائرة استعمالاته كما هو مستعمل اليوم، فلابد أن نقول انه يستعمل في مساحة دلالية أوسع، وما نريد ان نشير اليه هنا أن الانتماء للنبوة يعني إتبّاع الخط الرسالي، أي: السير على منهج الأنبياء والأولياء عليهم السلام.

والسير في منهج الخط الرسالي هو الانتماء الأساسي الذي يدفع بالمنتمين إليه إلى تجاوز الأواصر الضيّقة والروابط النَسَبيّة التي لا تقع ضمن إطار خط الوصول إلى حبّ الله، ويوجّه الأنظار والمواقف إلى الهدف المشترك وإلى الأفق الواسع الذي تُختزل تحته جميع الانتماءات، لتكون العلاقات في ظلّه قائمة على أساس المعرفة لدور القادة في بناء الأمة، مما تتطلب التحرر من ضغط القيم الجاهلية الموروثة، والمصالح والمطامع الشخصية والفئويّة.

وهذا الانتماء لا يكون إلا بإتباع القيادة الربانية الرسالية التي تتجلّى فيها قيم الولاية الإلهية، وأن تكون هذه القيادة الربانية محور التجمع وقطب الرحى؛ لهذا فإن وجود الشخصية القدوة التي ينتسب إليها الفرد المؤمن مع كونها واجباً شرعياً؛ فهي حاجة نفسية وفطرية فطر الله الناس عليها، والتوجه البشري نحو هذه الحاجة إلى الارتباط بشخص يوصل الانسان مع السماء. وتميل النفس إلى أن يكون معروفاً ومشخّصاً لدى الجماعة الانسانية التي تعيش في بيئة واحدة، وقد راعى المنهج القرآني هذه الحاجة وأكد على أن الرابط مع السماء هو منكم ومن أنفسكم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، ثم يأتي الأمر بالاقتداء بهذا الرسول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الاحزاب:٢١) وهو ما أكدت عليه خطابات أهل البيت في أكثر من مناسبة، ولعل تكرار هذه المقولة: ((إنّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّة، وَمَعْدِنُ الرِّسالَة))[١٢]، يكشف عن مدى أهمية هذا الانتماء في ضمير الأمة. وهذه العبارة تكررت على لسان الأئمة عليهم السلام، وقد ذكرها الإمام الحسين في خطبته أمام والي المدينة عندما طلب منه بيعة يزيد[١٣]، وفيها يشير الإمام عليه السلام إلى عمق انتمائه إلى مقام النبوة والرسالة دون النظر إلى من يمثلهما، فذكْرُ مصطلح (أهل البيت) فيه إشارة إلى تخصيص معنى هذا المصطلح الذي حاولت بعض الايادي توسعته على حساب دلالته المقصودة، التي حصرها رسول الله بمعنى تداوليّ مهم؛ وذلك حين جمعهم تحت الكساء. وفي مفردة (معدن) ونسبتها إلى الرسالة؛ فيه بيان لعمق الانتماء إلى الرسالات الالهية المتعاقبة وهو((يعني أنهم مقرّ ومقام للرسالة الالهية؛ لأنهم هم الحفظة لتلك الرسالة والعالمون بأسرارها وأحكامها وكلّ جزئياتها، وهذا من خصائصهم التي ميزتهم عن سائر الأمة))[١٤]، وهذا اللفت النفسي للمتلقي فيه من التوظيف الدلالي لمن

يعرف الإمام ولمن لا يعرفه، في مجلس شُحن بطاقات الولاء لسلطة بني أمية، فتثير تساؤلاً لدى جميع المتلقين للخطاب وعند الوالي نفسه، وبعدها يعرّج الإمام على ارتباط اهل البيت مع السماء، إذ يقول: ((وَمُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ، وَمَحَلُّ الرَّحْمَةِ، وَبِنا فَتَحَ اللهُ وَبِنا خَتَمَ))[١٥]، فاختلاف الملائكة يعني كثرة نزولهم إلى هذا المكان المبارك، حتى صار موطناً للرحمة، فالنبوة والرسالة ومهبط الوحي وتوطن الرحمة؛ كفيلة بأن يكونوا سبباً للفتح، ويكونوا هم أهل الخاتمة. فهنا شحنات نفسية يرسلها الباث إلى المتلقي؛ ليعرف قيمة المخاطِب وموقعه من السماء فضلاً عن موقعه من النبوة.

وحتى لا يستشعر المتلقي أن الإمام يُعلن انتماءه فقط من دون الاعتراض على دعوة البيعة؛ فجاء الجواب بالبراءة من منهج منحرف تعلّقت الامة به، وبخلافة باطلة منحرفة مثل خلافة يزيد فيقول: ((وَيَزِيدُ رَجُلٌ فاسِقٌ، شارِبُ الخَمْرِ، قاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ، مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ، وَمِثْلي لا يُبايِعُ لِمِثْلِهِ، وَلَكِنْ نُصْبِحُ وَتُصْبِحُونَ، وَنَنْتَظِرُ وَتَنْتَظِرُونَ أَيُّنا أَحَقُّ بِالْخِلافَةِ وَالْبَيْعَةِ. الرسالة))[١٦]، وهنا تعرية لخط منحرف وبعيد عن معاني الولاء والحبّ الالهي، فالخلافة والرسالة استحقاقٌ، له أهله وموطنه فـ (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (الانعام: ١٢٤).

وهذه المقابلة بين انتماءين: أحدهما: إلى بيت النبوة، والثاني: إلى بيت عامر بالخمر والقتل والانحراف؛ لها دلالاتها النفسية في مقام الخطاب. وتتابعُ الوصفِ في الكلام بصيغ الثبات الذي يوحيه استعمال صيغة الإخبار بالجمل الاسمية؛ دليل على أن هذا الوصف ملازم للانتماءين،[١٧] وهذا أيضا له من الأثر النفسي في السامع مهما كان انتماؤه، فخاطب الإمام عليه السلام هنا النفس الأمارة؛ لتظهر حنقها وكرهها غيضاً لمقام أهل البيت، فردّة فعل مروان ابن الحكم مثلاً الذي أقترح على الوالي قتل الإمام[١٨]؛ فيها دلالة على الانفعال السلبي، وردّة فعل النفس اللوامة للوليد والي المدينة - عندما أقترح عليه مروان قتل الإمام إذ قال: ((ليتني لم أكُ شيئاً مذكوراً... ويح غيرك يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني ودنياي، والله ما أحبُّ أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وإني قتلت حسيناً، سبحان الله أقتل حسيناً (لما) إن قال: لا أبايع؟، والله إني لأظن أن امرأ يحاسب بدم الحسين عليه السلام خفيف الميزان عند الله يوم القيامة))[١٩]. فردّةُ الفعل هذه من شخص يسير في ركاب السلطة، توحي بمدى تأثير المقام الانتمائي على المتلقي، وانفعاله

نفسياً بالاتجاه الحقيقي للمعرفة؛ فذكر هذا الانتماء من قبل الإمام ومقابلته مع انتماء الاخرين للسلطة المنحرفة؛ لعلمه أن هذا الانتماء يجذب النفوس ويؤثر بها باتجاه انتصار المعركة. فكانت المقابلة نافعة باتجاه توجيه نفس المتلقي إلى معرفة شخصية الإمام التي جهدت يد الاعداء في تغييبها، ونافعة في تعرية العدوّ الظاهر، أذ يأمر بقتل الإمامة، وغيره يرى أن قتل الإمام فيه هلاك الدين والدنيا، وان دم الحسين له تبعات دنيوية وأخرويّة. ولاشكّ أن هذا أجل حسم المعركة إلى مكان آخر وزمان متأخر؛ لتكتمل معالم الشهادة ويتحقق الفتح.

وقد نكتفي في بيان حالة المقارنة هذه، فيما قاله العقاد: ((فقد شاءت عجائب التاريخ إذاً أن تقيم بي ذينك الخصمين قضية تتضح فيها النزعة النفعية على نحو لم تنضجه قط من أمثالها من القضايا... ولكن في تلك النزعة النفعية مسحة تشوبها من غير معدنها الوضيع لتكونن هي عصبية القبلية من بني أمية، وهي نزعة موارية تعارض الايمان الصريح، ولا تسلم من الختل والتلبيس))[٢٠]، فالنفس التي تطلب النفع المادي لاشكّ أنها تدفع في اتجاه ازالة العقبات عن طريق هذا النفع. في حين تتوقف الاخرى خوفاً من سوء العاقبة.

ونرى الإمام عليه السلام في نصٍّ آخر ضمن رسالة يبعث فيها إلى أهل البصرة[٢١]، يبيّن بوضوح هذا المقام الرسالي، ويعدد جهات الانتماء الكثيرة للرسول الاكرم صلى الله عليه واله وسلم، وبيان نوع الاختيار للنبي الذي عبّر عنه بالاصطفاء، فقال: ((أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ الله اصْطَفى مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَلى خَلْقِه، وَأَكْرَمَهُ بِنُبُوَّتِه، وَاخْتارَهُ لِرسالَتِه، ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْه، وَقَدْ نَصَحَ لِعِباده، وَبَلَّغَ ما أُرْسِلَ بِه))[٢٢]، ثم ينتقل إلى بيان العلاقة التي تربط أهل البيت مع مقام الرسالة والنبوة تجسيداً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (ال عمران: ٣٣- ٣٤)، فيعبر عن ذلك بقوله: ((وَكُنّا أَهْلَهُ وَأَوْلِياءَهُ وَأَوصِياءَهُ وَوَرَثَتَهُ، وَأَحَقَّ النّاسِ بِمَقامِه فِي النّاسِ))[٢٣] وهذه العبارة تشير إلى مستويات عدة للانتماء إلى النبوة، منها الانتماء النسبي، والانتماء في المشروع الالهي، فهم الأهل وهم الاولياء وهم الاوصياء والورثة، وهذا يشكّل رصيداً كبيراً في الخط الرسالي، فأحقيّتهم بمقام النبوة لا تنطلق من جهة النسب او القرابة فحسب؛ لذا يؤكد ذلك في كلامه اللاحق بقوله: ((وَنَحنُ نَعْلَمُ أَنّا أَحَقُّ بِذلِكَ الْحَقِّ الْمُسْتَحَقِّ عَلَيْنا مِمَّنْ

تَوَلاّهُ))[٢٤]. وهذه الإشارات الواضحة والمعلنة يُرسلها الإمام إلى جهات عدة:

الاولى: جهة العداء التي تحاول إخفاء وطمس مكانة أهل البيت وابعادهم عن الخط النبوي، وذلك حتى عن طريق تعويم مصطلح (أهل البيت) الذي ورد في النص القرآني، كما اتضح من خطابه أمام والي المدينة. فالرسالة واضحة بأن أهل البيت هم هؤلاء الخمسة وذريتهم من الأئمة. وهو ما يعرّي هذه النزعات النفسية السلبية الكامنة في نفوس إعداء أهل البيت.

الثانية: الجهة التي غُيّبَ عنها دور أهل البيت ومقاماتهم، وهي الشريحة الاكبر التي تتفاعل مع أهل البيت على اساس قربهم من الرسول ومودتهم لهم، إعمالا بظاهر قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣)، وهو ما اتضح في رسالته لأهل البصرة. وفيه تبريز لحالة النفوس المنهزمة التي لا تستطيع أن تنتصر على حالة الخوف المسيطر، إذ وصفت بعبارة قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية[٢٥]. وقد جمع الإمام هذه الصورة في خطبة أمام القوم: ((أَ فَهؤُلاءِ تَعْضُدُونَ، وَعَنّا تَتَخاذَلُونَ؟؟)) فأسلوب الاستفهام الإنكاري والسجع الطويل؛ يوحي بعمق التناقض الذي تعيشه الأمة، عندما تخذل اهل البيت وتعاضد بني أمية، وتظهر مدى انفعال الإمام عليه السلام من موقفهم المتناقض، ومع ((عناية الإمام بالأداء الأدبي لم تصرفه عن العناية بالوقع النفسي، كما أن نقمته عليهم لم تثنه عن التوسل بما يثير عواطفهم، ويصور ضلالهم وعنادهم وجبنهم))[٢٦]، ولكن القوم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله العظيم. وهؤلاء مع الاسف كانوا هم الاغلبية التي كانت تكثر السواد في عيني الإمام من الجيوش التي شاركت في وجودها في المعركة.

وفي يوم عاشوراء ذكر الناس بهذا الانتماء لتكون الحجة عليهم بالغة، وفي مناسبات عدة، فمرة بطريق الاخبار: ((أَقُولُ لَكُمْ: اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ وَلا تَقْتُلُونِ، فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي، وَلا انْتِهاكُ حُرْمَتِي، فَإِنّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وَجَدَّتي خَدِيجَةُ زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ، وَلَعَلَّهُ قَدْ بَلَغَكُمْ قَوْلُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة)) ومرة أخر بأسلوب الاستفهام، ومن ثم الاجابة على هذا الاستفهام، ((فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ هذَا الْقَوْلِ، أَفَتَشُكُّونَ أَثَراً ما أَنّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟ فَوَاللهِ! ما بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي مِنْكُمْ وَلا مِنْ غَيْرِكُمْ، أَنَا ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ خاصَّةً))[٢٧]، ولاشك ان النفوس انفعلت بهذا

الخطاب سلباً وإيجاباً، وكانت هناك ردود افعال مباشرة سجلتها لنا كتب السير، فمن المتلقين من تغلّب على النفس الامارة وصار مع ركب الشهداء، كالحر بن يزيد الرياحي، عندما تيّقن من معرفة الحق والباطل، وهو يعلم لمن ينتمي الحسين عليه السلام، وقد اتضح ذلك في كلامه ((بئسما خلفتم محمداً في ذريته لا أسقاكم الله يوم الظمأ ان لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم))[٢٨]، وأخذ يخيّر نفسه بين الجنة والنار، واختار الجنة، موطّناً نفسه، فما هي الا لحظة حاسمة تحرّر فيها من الشلل النفسي والازدواج في الرأي، وصار مع الحسين عليه السلام، قائلاً له: ((وإنّي قد جئتك تائباً ممّا كان منّي إلى ربّي، ومواسياً لك بنفسي حتّى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟!))[٢٩]، وهنا انتصار للنفس على الهوى؛ لأنها عرفت من هو الحسين وإلى أين ينتمي.

وجهة ثالثة كان الكلام معها بعمق أوضح، ورسالة تدعوهم إلى الفوز مع هذا الخط والتعلق بهذا الانتماء، وهؤلاء هم الخواص الذين تجاوزوا معرفة العلاقة بين الإمام ومقام الرسالة والنبوة. ووصلوا إلى حالات توطين النفس مع الإمامة حتى وصفهم الإمام ((فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي))[٣٠]. وهؤلاء هم تلك القلة التي نالت فوز الشهادة مع خط الانتماء للنبوة.

ويستمرُّ الخطاب الحسيني في تقوية الارتباط النفسي مع مقام الإمامة الذي هو انتماء إلى النبوة، وهو ما يتضح جليّاً في خطابه لّما عزم على الخروج إلى العراق[٣١]، إذ يبيّن مقامهم بالقرب من الله تعالى فضلاً عن انتمائهم لمقام النبوة، إذ يقول: ((رِضا اللهِ رِضانا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلى بَلائِهِ وَيُوَفّينا أُجُورَ الصّابِرينَ، لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لُحْمَتُهُ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ في حَظيرَةِ الْقُدْسِ، تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَيُنْجِزُ بِهِمْ وَعْدَهُ))[٣٢]، فالانتماء هنا يصل إلى مقام الرضا لهم، الذي ارتبط بمقام الانتماء لرضا الله تعالى، وهو مصمّم على عدم الابتعاد عن منهج رسول الله، مستعيناً بأداة النفي الذي يفيد التأبيد(لن تشذ عن رسول الله لحمته)، فهذه المرتبة التي يتمتع بها مقام الرسالة – منظوراً اليه بتركيب (رسول الله) دون النظر إلى انتمائه النسبي، ثم استشراف الاجتماع في حظيرة القدس، وإنجاز الوعد بإتمام النعمة وإكمال الدين. وهو الوعد الذي تنتظره الامة بسيادة الاسلام في نهاية المطاف – كفيلة بأن تأسر النفوس وتجعلها منفعلة مع خط الثورة الحسينية، وهذا النسق اللفظي، من

قصر العبارة والانسجام الصوتي وعمق الدلالة وصدقها؛ يوحي للنفس الانسانية المطمئنة بأنها تسير مع الخط الرسالي الذي آمنت به وتفنى من أجله. ولعل هذ ما كان له الاثر البليغ في نفوس اصحابه حتى أنهم كانوا يتسابقون إلى الموت شوقاً إلى لقاء النبي ﷺ وأهل بيته، وبانَ هذا في أراجيزهم؛ إذ أنشأ زهير بن القين يقول مخاطبا للحسين عليه السلام:

اليـــوم نلقـــى جـــدك النبيّـــا وحســـنا والمرتضـــى عليـــا

وذا الجنـــاحين الفـــتى الكميّـــا[٣٣]

المبحث الثاني

مقام استشراف المستقبل (إظهار المغيبات)

إن ربط الرسالة مع السماء من أهم ملامح البعد النظري للتأثير في مَن توجّه اليهم الرسالة؛ لأن علاقة الناس بالسماء لا تفارق الفطرة، والايمان بالغيب هو الوحدة الشعورية الإيجابية الفعّالة التي تأسر قلوب الناس؛ لذا كان الاخبار عن الغيب من المعجزات التي أجراها الله تعالى على أيدي الانبياء، وقصص القرآن كفيلة ببيان هذه الاسرار والمعجزات.

ولعل من الامور التي جُعلت محوراً للطعن في الفكر الإمامي هو اعتقادهم بقدرة أهل البيت عليهم السلام على الاخبار عن الغيب، والبحث هنا لا يريد أن يخوض في هذا المجال فهو يحتاج إلى بحث منفرد، ولكن لأجل بيان هذا المقام في ضوء نصوص الخطاب الحسيني نحاول أن نضع بعض الخطوط العامة حول معرفة الغيب. وما أثرها النفسي في المتلقي الذي كان يواجه الإمام ويعترض على منهجه في التحرك ضد السلطة.

فيلاحظ من بعض الروايات ان الإمام الحسين عليه السلام كان يؤكّد في كثير من خطابته على استشراف حالة الثورة التي يقودها، وما يجري عليه من أحداث. ففي كلامه لأخيه محمد بن الحنفية عندما اعترض على خروجه إلى العراق، نراه يجيبه بهذه الطريقة ((قال: إن جدي ﷺ أتاني بعدما فارقتك وأنا نائم، فضمّني إلى صدره وقبّل ما بين عيني، وقال لي: يا حسين يا قرّة عيني أخرج إلى العراق فالله (عزّ وجل) قد شاء أن يراك قتيلاً مخضباً بدمائك. فبكى محمد بن الحنفية بكاء شديدا فقال: يا أخي إذا كان الحال هكذا فلامعنى لحملك لهؤلاء النسوة. فقال: قال لي جدي ﷺ أيضاً: إن الله (عزّ وجل) قد شاء أن يراهن سبايا،

مهتّكات، يساقون في أسر الذل، وهنّ أيضا لا يفارقنني ما دمت حيا. فبكى محمد بن الحنفية بكاء شديدا ثم قال: أودعتك الله يا حسين، في دعة الله يا أخي.))[٣٤].

في هذه المحاورة تبيّن أن الحسين عليه السلام مرتبط بالغيب عن طريق الرؤيا الصادقة، واخبر أن قضيته مخطط لها من قبل الله، فهو يربط قتله بمشيئة الله عن طريق هذه الرؤيا التي رآها واخبره بها جده رسول الله؛ لذا كان الإمام صريحاً بالإخبار عن حالته، وما يجري عليه في أرض المعركة، فكانت الصدمة الاسلوبية بقوله: (شاء الله ان يراك قتيلاً مخضباً بدمك)، قتل وتخضيب بالدماء، إخبار عن حالة لّما تحدثُ بعدُ؛ فينفعل اخوه بما يملكه من وسيلة وهي أن يبكي بكاء شديداً، والبكاء، انفعال لسماع الخبر الذي تمكّن من مشاعره، وقد وثق ممّا يقوله ابن رسول الله. قتيل مضرج بدمه. وأن عياله سوف تُسبى ايضاً بمشيئة الله.

والإمام عليه السلام لا ينفكّ يذكّر متلقي النص بصورة قتله، فيقول في مناسبة أخرى: ((كَأَنّي بِأوْصالي تُقَطّعُها عُسْلانُ الْفَلَواتِ بَيْنَ النَّواويسِ وَكَرْبَلاءَ، فَيَمْلأنَّ مِنّي أَكْراشاً جَوفاً وَأَجْرِبَةً سُغْباً، لا مَحيصَ عَنْ يَوْم، خُطَّ بِالْقَلَم))[٣٥]، هذا الإخبار التفصيلي عن حالة لم تحدث بعد؛ فيها من اللفت المعنوي والدلالي إلى تهيئة النفوس لاستقبال صورة الموت الذي سيكون عليه الإمام، وظاهر كلام الإمام انه كان في حالة تشاؤم؛ لأنه يركّز تركيزًا عجيباً على فكرة الموت، وحتميته، وأنه قدر خط بالقلم، ويبدي حنينه وأشواقه إلى لقاء اهله من أسلافه، فيصّور نفسه مقتولاً برسم تراجيدي، ويتصور الذئاب تتسابق إلى جثمانه الطاهر فتقطّعه، ويصل إلى نتيجة مفادها أن الموت خير من الحياة ((فالإمام يتعامل مع خطين: خط الظاهر الذي يعرفه الناس كلّهم، ففي هذا الخط خطة من العناية والسعي، وكأنه الخط الوحيد، وخط الحقيقة والباطن ويمثل مآلات الأمور، ومنتهيات حركات المخلوقات، إنه يرى بعين البصر، والبصيرة، ويُنبئ بوقوع الحوادث قبل وقوعها، فتأتي الحادثات في ما بعد بالصورة والكيفية التي أخبر بها الإمام))[٣٦]، فالرسالة واضحة لا خداع فيها للأتباع، ولا تمويه تحمله للأعداء. فالنهاية ستكون هكذا، من كان يريد أن يكون في هذه المعركة يجب أن يعرف ما تؤول اليه، وهذا أخبار عن حالة لم تقع، وإنما هو استشراف لصورة القتل الذي سوف يلاقيه، صورة حتمية الموت الذي خُط بالقلم ولا محيص عنه، وتكون ردّة الفعل على هذه الصراحة المعلنة، أن الناس تفرّقوا عن الإمام. وهو ما يريده الإمام ويأمر به؛ إذ يقول

في بعض الروايات: ((أَيُّهَا النّاسُ! فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ يَصْبِرُ عَلى حَدِّ السَّيْفِ وطَعْنِ الأَسِنَّةِ فَلْيُقِمْ مَعَنا وَإِلاّ فَلْيَنْصَرِفْ عَنّا))[٣٧].. فجعل القوم يتفرقون ولم يبقَ معه إلا الذين خرجوا من مكة. وهذه ردّة الفعل النفسية السلبية (وهي التفرق عن الإمام المفترض الطاعة)؛ ربما تثير سؤالاً حتمياً. ما الذي يبتغيه الإمام من ذلك العرض المخيف والصورة المدوية؟؟!!

والجواب يمكن أن يكون كما يلي: إن قساوة المعركة وحتمية نهاياتها الواضحة عند الإمام، وحتمية الشهادة التي يسعى اليها ويريدها أن تساوي الفتح، فإن هذه الامور تريد ابطالاً لا يترددون، ولا يقدّمون رجْلاً ويؤخرون أخرى في ساحة المعركة، أي أناس استشهاديون طلّقوا الدنيا كإمامهم.

في حين يلعب الإخبار عن حالة المستقبل دوراً بارزاً في شدّ النفوس نحو المعركة. ويستمر الإمام في طرحه سراً وعلانية، كما حدث مع زهير بن القين، اذ أسرَّ إليه الحسين بشارة عن المستقبل القريب حتى جعله يتغيّر هذا التغيير الذي اخبرتنا به رواية كربلاء، وتنفعل نفسه هذا الانفعال الذي يوصف بأنه جاء مستبشراً قد تهلّل وجهه، فلم يعدْه الإمام بمالٍ أو مغنم، ولو وعده بذلك لما طلّق زوجته، ولا ودّع أصحابه الوداع الأخير. نعم، لقد بشّره بالشهادة والفوز بالجنة، وذكّره بحديث طالت عليه الأيام فنساه، وقد حدّث زهيرٌ به أصحابه قائلاً: ((إني سأحدّثكم حديثا: غزونا بلنجر ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم؟ فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد؛ فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم، فأما أنا فإني أستودعكم الله))[٣٨]، وكانت النهاية أن زهير في أرض المعركة يدافع مستميتاً عارفاً بمقام الإمام الذي يقاتل دونه. وهو بطل من أبطالها على الرغم من أنه كما يقال: أنه كان عثماني الهوى[٣٩] حتى تغيرت وجهته النفسية فصار حسيني الهوى مع سبق الاصرار. فكان يقول: ((يا بن رسول الله وددت أني قتلت ثم نشرت، ثم قتلت ثم نشرت، ثم قتلت ثم نشرت فيك وفي الذين معك مائة قتلة، وأن الله دفع بي عنكم أهل البيت))[٤٠]، وهذا يفسر لنا سر استبشاره من قبل.

من الأمور التي بيّنها الإمام الحسين مخاطباً اعداءه، وواعداً إيّاهم بنهاية سريعة في هذا المقطع ((أما والله لا تلبثون بعدها الا ريث ما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى،

وتقلق بكم قلق المحور))[٤١]، وعود واثقة ومطمئنة بما سيجري على هؤلاء القوم، ولكن اللطيف إن الإمام خبّرهم بأن ما يقوله هو: ((عهد عهده إليّ أبي عن جدي رسول الله فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون))[٤٢]. فعلومه الغيبية استقاها من آبائه ووظّفها الإمام في نفوس أعدائه، وجعلهم يعيشون مناخاً نفسياً عصبياً جعلهم يحاولون عملية تشويش على خطابه تهدف إلى تعويق السماع لكلامه، ويبدو أنه كان من عمل رؤساء القوم[٤٣].

فالإخبار عن المستقبل هو عهد معهود للإمام، وهذا نوع من انواع المعرفة بالغيب، فهو ليس معرفة لدنية ذاتية؛ بل هو اخبار عن الرسول الذي يتصل بالله تعالى عن طريق الوحي، فالخبر إذن عن الله. وهو في حد ذاته يكفي لمعرفة مقام الإمامة الالهية فهي مرتبطة بالله تعالى عن طريق رسم مستقبل الامة الظالمة او الامة المحسنة.

وخطابه مع عمر بن سعد في بيان عاقبته بعد المعركة، وقد تحقق هذا الامر ((يا عُمَرُ! أَنْتَ تَقْتُلُني! تَزْعَمُ أَنْ يُوَلّيكَ الدَّعِيُّ ابْنُ الدَّعيّ بِلادَ الرَّيَ وَجُرْجانَ، وَاللهِ! لا تهنأ بِذلكَ أَبَداً، عَهْدٌ مَعْهُودٌ، فَاصْنَعْ ما أَنْتَ صانِعٌ، فَإِنَّكَ لا تَفْرَحُ بَعْدي بِدُنْيا وَلا آخِرَة، وَكَأَنّي بِرَأْسِكَ عَلى قَصَبَة قَدْ نُصِبَ بِالْكُوفَة، يَتَراماهُ الصِّبْيانُ وَيَتَّخِذُونَهُ غَرَضاً بَيْنَهُمْ. فصرف عمر بن سعد بوجهه عن الحسين مغضباً))[٤٤]، فلم يكن الحسين عليه السلام بحاجة إلى أن يوعظ عمر بن سعد الذي كان على رأس الجيش الأموي الذي سيقتله، ولكن أراد أن يكشف عن خفايا نفسه الخبيثة التي لا تقبل الحقّ؛ لتكون الحجة أمضى في أخباره عن حالة مستقبلية سيكون عليها، فردّة فعل هذه النفس الامارة أنها غَضَبت، وتولّت حتى كان منه انه أول من أشعل فتيل المعركة طلباً للتزلف لأمارة الدنيا، ((فاستخرج سهما فوضعه في كبد القوس ثم قال: أيها الناس! اشهدوا لي عند الأمير عبيد الله بن زياد أني أول من رمى بسهم إلى عسكر الحسين بن علي))[٤٥] ولكن من رأى وسمع ما آلت اليه حالة عمر بن سعد أن الوعد كان صادقاً لا غبار عليه، وفيه جرعات نفسية كبيرة للذين جاءوا بعد المعركة ودافعوا عنها.

ويستمر الإمام في أكثر من مناسبة في بيان نهاية هذه الزمرة التي تصرّ على قتله، ففي خطابه إلى أبي هرة ((يا أَبا هِرَّةَ ! إِنَّ بَني أُمَيَّةَ أَخَذُوا مالي فَصَبَرْتُ، وَشَتَمُوا عِرْضي

فَصَبَرْتُ، وطَلَبُوا دَمي فَهَرَبْتُ، وَأَيْمُ الله يا أَبا هرةَ! لَتَقْتُلُني الْفئَةُ الْباغِيَةُ ولَيَلْبِسُهُمُ اللهُ ذُلاً شاملاً وَسَيْفاً قاطعاً، ولَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُذِلُّهُمْ حَتّى يَكُونُوا أَذَلَّ مِنْ قَوْمِ سَبَأَ إِذْ مَلَكَتْهُمْ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ فَحَكَمَتْ فِي أَمْوالِهِمْ وَفِي دِمائِهِمْ))[٤٦]، هذا الاستشراف لحالة البغي هي نهاية حتمية لمن تتلطخ يده بدماء الحسين عليه السلام، ربما تأثيرها يمتد إلى ما بعد الحادثة فينتفع بها من شاهد صدق إخباره وتحقق ما وعد به فتطمئن نفسه ويشتد ولاؤه لأهل البيت.

وهناك من كانت همة نفسه ترك المعركة واعتزالها كردة فعلٍ آني لما شاهده من مكانة ارتباط الإمام بالمغيبات وسرعة استجابة دعائه عندما أقبل رجل من معسكر عمر بن سعد، يقال له: مالك بن حوزة على فرس له حتّى وقف عند الخندق وجعل ينادي: ((أبشر يا حسين! فقد تلفحك النار في الدنيا قبل الآخرة. فقال له الحسين عليه السلام: كَذِبْتَ يا عَدُوَّ اللهِ! إِنّي قادِمٌ عَلى رَبٍّ رَحيم وَشَفيع مُطاع، وَذلِكَ جَدّي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال الحسين: مَنْ هذَا الرَّجُلُ؟ فقالوا: هذا مالك بن حوزة. فقال الحسين عليه السلام: أَللّهُمَّ! حُزْهُ إلى النّارِ، وَأَذِقْهُ حَرَّها في الدُّنْيا قَبْلَ مَصيرِهِ إلى الْآخِرَةِ ! قال: فلم يكن بأسرع أن شبّت به الفرس فألقته في النار، فاحترق.

قال: فخرّ الحسين عليه السلام لله ساجداً مطيعاً، ثمّ رفع رأسه وقال: يا لَها مِنْ دَعْوَة ما كانَ أَسْرَعَ إِجابَتَها! قال: ثمّ رفع الحسين صوته ونادى: اللّهُمَّ! إنّا أَهْلُ نَبِيِّكَ وَذُرِّيَّتُهُ وقَرابَتُهُ، فَاقْصِمْ مَنْ ظَلَمَنا وَغَصَبَنا حَقَّنا، إِنَّكَ سَميعٌ مُجيبٌ.))[٤٧].

وكان من نتيجة هذه الحادثة أن أحدهم وهو مسروق، رجع وترك الخيل من ورائه، فسُأل عن ذلك فقال لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئا لا أقاتلهم أبداً[٤٨]. فهذه كلّها إشارات فيها مؤثرات نفسية للمتلقي في كل زمان ينتفع بها للثبات على منهج الحق والدفاع عنه.

المبحث الثالث

مقام الشوق إلى لقاء الله وحب الموت

أُجْبِلت النفس الانسانية على كراهية الموت وعدم الانسجام مع هذه الظاهرة الحتمية لمفارقة الدنيا، فالإنسان يدفع عن نفسه الموت بحالة اللاشعور، والدليل القرآني واضح في

تحدي الناس في مدى حبّهم للموت وذلك في خطابه لليهود: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: ٦- ٧)، ولكن كيف نظر الإمام الحسين لهذه الظاهرة؟ وكيف أعطاها بعداً جديداً ينسجم مع رؤية الاتصال مع الله تعالى؟. ومن ثم كيف استطاع أن يجلب النفوس إلى حب الموت؟

إن من أهم مسوغات كراهية الموت هو حبّ الدنيا، فالإمام الحسين عمل أولاً على تخلية النفس من هذه العقبة (حبّ الدنيا). وكان هذا جلياً في كتابه إلى أخيه محمد بن علي ((بسم اللّه الرحمن الرحيم، كأن الدنيا لم تكن، وكأن الآخرة لم تزل، والسّلام))[٤٩]، وهذه الكلمات على الرغم من قصرها وايجازها؛ لكنها جمعت الدلالة الزهدية بشكل عجيب، يعني أنهم لمفارقتهم الدّنيا وتركهم لها بكلّيتها؛ كأنّهم لم يكونوا ساكنين فيها وعامرين لها. فكانت وصفة دقيقة لعلاج النفس الانسانية التي مرّت بحلقات من التّخريب الثقافي والنّفسي الذي تعيشه الامة المسلمة؛ إذ قبلت بالحكم المنحرف فجاءت هذه الوصفة الحسينية لـ ((توطين النفس للتخلّي عن الدنيا للوفود على الله... وهذه الحالة هي حالة انتزاع النفس من حب الدنيا والتعلق بها وليس من الدنيا نفسها...وهذا هو تغييب الدنيا عن النفس وهي عملية نفسية شاقة وصعبة))[٥٠]، فإبراز هكذا خطاب، وصاحبه بأشد الحاجة إلى الناصر؛ ينبأ عن توظيف نفسي صعب في اتجاه المتلقي الذي لا يريد التخلي عن الدنيا بسهولة. وقد تجلى ذلك في لقاء الإمام عليه السلام مع عبيد الله بن الحر الجعفي حين طلب منه النصرة فقال: ((فإن نفسي لم تسمح بعدُ بالموت، ولكن فرسي هذه الملحقة، والله ما طلبت عليها شيئا قط إلا لحقته، ولا طلبني وأنا عليها أحد قط إلا سبقته، فخذها، فهي لك. قال الحسين: أما إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا إلى فرسك))[٥١]. فاتضح هنا ((بشكل مفجع آثار مرض الوهن... والشلل النفسي الذي تفشى بدرجة واسعة وعميقة وخطيرة في هذه الأمة بعد ارتحال رسول الله صلى الله عليه وآله نتيجة المنعطفات الانحرافية... بفعل حركة النفاق طيلة خمسين سنة))[٥٢]، وكان الإمام لا ينفك عن معاملة هذ الشخص الذي أخلد لحب النفس بطريقة الرحمة المعهودة، وحذره من سماع صوت استنصاره لكي لا يكون من الهالكين.

وهو منهج سار عليه أهل البيت عليهم السلام في تخلية النفس عن الدنيا، إذ استقت الكلمات القصيرة السابقة مفاهيمها من كلام أمير المؤمنين عليه السلام،وذلك في قوله: ((وأنهم لارتحالهم إلى الآخرة واستمرارهم فيها أبد الآباد كأنّها كانت لهم منزلاً ومقيلاً، فكأنهم لم يكونوا للدنيا عماراً، وكأن الآخرة لم تزل لهم داراً))[٥٣]، فهناك تشابه بين الخطابين، ووجه التشبيه الأوّل انقطاعهم عنها بالكلّيّة وعدم خلودهم فيها؛ فأشبهوا بذلك من لم يكن فيها. والوجه الثاني كون الآخرة هي مستقرّهم الدائم الثابت الَّذي لا عدول عنه فأشبهت في ذلك المنزل الَّذي لم يزل له دارا[٥٤].

وفي مكان آخر ومناسبة جديدة يبيّن الإمام قيمة الدنيا عنده وهو يقول: ((إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الأَمْرِ ما قَدْ تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُها، وَاسْتَمَرَّتْ جِدّاً (حذّاء) وَلَمْ يَبْقَ مِنْها إِلاّ صُبابَةٌ كَصُبابَةِ الإِناءِ، وَخَسيسِ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبيلِ))[٥٥]، فهذا الوصف الدقيق لحال الدنيا التي سوف يتركها الإمام؛ مطلّقاً لها، زاهداً فيها، يُعدّ النتيجة الحتمية المتحققة بعد هوان الدنيا في عينه، وهو ما شأنه أن يحقق التأثير في السامع وتوطين نفس المتلقي على انتزاع هذه النفس من براثن حبّ الدنيا، فتهوينها بهذا الوصف من شأنه أن يزهّدها في نفوس الآخرين، بعد أن عرفوا حقيقتها في نفس إمامهم[٥٦]، فأنه قال صابراً محتسباً ((أَلا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لا يُعْمَلُ بِه، وَأَنَّ الْباطِلَ لا يُتَناهى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمؤْمِنُ في لِقاءِ اللهِ مُحِقّاً، فَإِنّي لا أَرى الْمَوْتَ إِلاّ شَهادَةً، (سعادة) وَلاَ الْحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إِلاّ بَرَماً))[٥٧].

ولعل الإمام وهو العارف بنهايته الحتمية يتجلد في مواجهة الصعاب؛ فالموت عنده هو الطريق إلى السعادة او إلى الشهادة التي يحيى صاحبها سعيداً ومن الخالدين، فبعد أن يصف الموت وصفاً دقيقاً باختيار الاستعارات البلاغية؛ فليس من الغريب أن يصف الحسين عليه السلام الموت في نص آخر ((خُطَّ الْمَوْتُ عَلى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلادَةِ عَلى جيدِ الْفَتاةِ، وَما أَوْلَهَني إِلى أَسْلافي اشْتِياقَ يَعْقُوبَ إِلى يُوسُفَ))[٥٨]، فهنا يعرف الإمام الموت ((ولست أعرف تصويراً جمالياً للموت أجمل من التعريف الذي يقدمه))[٥٩]، تشبيه رائع لجمال قلادة يتوشح بها جيد فتاة مقبلة على حياة الشباب، فأشار الإمام إلى حتمية الموت على بني آدم ولكن بطريقة تشعر بجمالية الموت عنده، ولا يمكن لأحد الفرار من هذا المصير الابدي الذي هو سعادة، فأي تهيئة نفسية يحملها هذ النص؟ فالموت زينة لابد أن يذوقه كل أحد من

البشر، بدلالة قوله: (ولد آدم) في حين أن الموت ظاهرة عامة تطال كل كائن حي، وهدف الإمام من هذا التخصيص واضح ذلك أن مقام الخطاب يتطلب مثل هذا، لأنه موجه إلى المخاطبين ويمكن أن نستوحي من هذا القول نبرة دلالية تشير إلى التزهيد في هذه الدنيا الفانية، وقد استعار الإمام صورة للتعبير عن حتمية الموت وإحاطته بالبشر هي صورة القلادة التي تحيط بجيد الفتاة، ووجه الشبه بينهما هو إحاطة كل منهما بما وضع له، وهو نوع من أنواع الاستعداد النفسي لاستقبال الموت واستنفار الطاقات لأن الدنيا فانية وزائلة(٦٠).

وينتقل الإمام إلى حالة من حالات الصبر القرآني - وهو ابن القران وعِدْله - ليجسّد من خلالها اشتياقه للقاء ربه ولقاء جده وأبيه وأمه وأخيه، وهم الذين وصفهم بأسلافي، وبيّن شوقه إليهم، وهذه الصورة هي صورة الاشتياق الذي في قلب يعقوب إلى ولده يوسف، وهي من أعظم الصور التي رسمها القرآن الكريم لبيان شدة الاشتياق، يقول: (وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف)، انها صورة من التشبيه الرائع؛ جسد فيها الإمام الحسين شوقه إلى الموت الذي سوف يجمعه بأسلافه الماضين، ويمكن أن نلمح في هذا التركيب ظلالاً من المعاني التي تشير إلى رغبة الإمام الحسين في الموت الكريم، وزهده في هذه الدنيا الفانية(٦١).

وفي كل مناسبة في خطابه يعطي اشارات نفسية للمتلقي الذي أمتلأ باليقين المطلق بصدق المعنى ووضوح الطريق عندما يعطي وعداً لأتباعه بقوله: ((مَنْ كانَ باذلاً فينا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً عَلى لِقاءِ اللهِ نَفْسهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنا فَإِنّي راحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شاءَ اللّهُ تَعالى))(٦٢) والذي يستبطنه تركيب (فينا) من عمق الدلالة وظرف الانتماء إلى خط أهل البيت والكون معهم، وان يكون البذل فيهم هم لا في غيرهم، ودلالة الظرفية التي يحملها حرف الجر (في) توحي أنهم الوعاء الاوحد الذي يستحق أن تبذل فيه الامة عطاؤها الاسمى، وهو عطاء المُهج وتوطين النفس على الموت الذي سماه الإمام (لقاء الله)، ((فالإمام عليه السلام يروم أن يرتقي بنفس الناصر حتى يجعلها محلاً ومسكناً ووطناً للقاء الله سبحانه فحسب؛ لتخلو هذه النفس من أيس استعداد للقاء غيره جلا وعلا))(٦٣)، وهذا يقين بحتمية حسن العاقبة التي تحوّل الموت إلى شوق اللقاء مع الخالق. وهنا فرادة دلالية،

وانزياح في طريقة التعامل مع الأتْباع، تجعل المتلقي منبهراً من خطاب سياسي في ثورة يُراد لها أن تنتصر، ولكن أي انتصار؟؟ فلم يحكِ لنا التاريخ بأن القائد يطلب من الناس أرواحهم ونفوسهم، بل يمنيهم بالنصر والغنائم الدنيوية إلا الحسين عليه السلام فيدعو الناس إلى أن يبذلوا له مهجهم وأفئدتهم، دون أن يُمنّيهم أو يعدهم بمكاسب سياسية وعسكرية عاجلة، وهي ميزة تفرد بها الخطاب الحسيني عن سائر الخطابات السياسية في عصره وفي جميع العصور(٦٤).

واسلوبية الاختلاف والعدول في ثقافة الشعوب هذه، فيها درجة مغايرة ومختلفة من حالات التوظيف النفسي لما تربّت عليه الامة في سلطة الطغاة، بل هي واقعية التعامل مع مبدأ الحق الذي غُيّب عن الانسانية في كل مراحلها وأزمنتها. ولكنه وجد وعاش في رحاب أهل البيت عليهم السلام؛ لذا فإن الإمام بتأكيده على أن البذل يجب أن يكون فيهم دون غيرهم؛ لأن البذل في غيرهم له دلالات أخرى لا يريدها الخطاب.

وهو ما يفكّ لنا أسرار اللغز الرسالي في هذه المعادلة النفسية المثيرة في رسالته إلى بني هاشم وهم خواصه وأهل بيته ((فان من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام))(٦٥)، فاللحوق بالإمام يبيّن درجة المعرفة له، وإدراك مدى انتمائه إلى خط الشهادة الذي يكون تحت لواء الرسالة، ثم الوعد بالفتح المنتظر للأمة الذي لا يتحقق الا على يدي قادتها الالهين؛ لأنهم أهل الحق منه يبدؤون وإليه ينتهون. والذي يلفت حقاً هذا الانزياح في استعمال المفردات عند شخص مقبل على خوض معركة حتمية، فيها من المجازفة في الحسابات العسكرية والسياسية؛ ((لأن الإمام عليه السلام يدعو الناس في حركته هذه إلى الموت علانية وصراحة، وهذه الدعوة الصريحة لا تنسجم مع التوجه الاعلامي والنفسي إلى دعم وتثبيت نفوس المقاتلين في ساحة القتال وعند التحضير له))(٦٦)، فحتمية الموت الذي سماه الإمام الشهادة التي جاءت جواباً للشرط لمن لحق به لا تهيئ النفس الا إلى شيء يؤمن به القليل من الناس، ويبدو أن الإمام يستهدف هذه الثلة القليلة تماشياً مع المنطق القرآني ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣)، وفي قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة:١٣- ١٤) ومع كلّ هذا التحضير النفسي، وحاجة الإمام إلى الانصار التي بيّنها في استنصاراته الكثيرة؛ نجده يخيّر أصحابه في ليلة عاشوراء، بقوله: ((أما بعد: فإني لا أعلم

أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا، ألا وإني لأظن أنه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا))[٦٧]. فيأتي الجواب من الجميع وبصورة تراجيدية تُنبأ عن الاطمئنان النفسي لاختيار الطريق وهو طريق الإمام ((والله لا نفعل ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك))[٦٨].

هكذا وصلت النفس إلى درجة الاطمئنان؛ إذ وُظفت توظيفاً صحيحاً في شوق اللقاء إلى الله تحت راية الإمام، فالورود مورده، وقبح العيش من دونه؛ صورة نفسية رائدة تمخضت عن جرعات خطابية واثقة عملت على جعل النفوس موطّنة على اللقاء، كانت نتيجتها أن الإمام يخاطبهم بهذه الكلمات ((إِنْ كُنْتُمْ قَدْ وَطَّنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلى ما وَطَّنْتُ نَفْسي عَلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّ الله إِنَّما يَهَبُ الْمَنازِلَ الشَّرِيفَةَ لِعِبادِهِ بِاحْتِمالِ الْمَكارِهِ، وَأَنَّ الله وَإِنْ كانَ خَصَّني - مَعَ مَنْ مَضى مِنْ أَهْلي الَّذينَ أَنَا آخِرُهُمْ بَقاءً فِي الدُّنْيا - مِنَ الْكَرامات بِما يَسْهَلُ عَلَيَّ مَعَها احْتِمالُ الْكَرِيهاتِ (الْمَكْرُوهات)، فَإِنَّ لَكُمْ شَطْرَ ذلكَ مِنْ كَرامات الله تَعالى، وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيا حُلْوُها وَمُرُّها حُلُمٌ، وَالانْتِباهُ فِي الآخِرَةِ، وَالْفائِزُ مَنْ فازَ فِيها، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِيها))[٦٩]. بهذا وصل الإمام بإصحابه إلى حبّ المواجهة مع العدو والسباق نحو الموت للدفاع عن الحق والانتصار النفسي الذي يخدم مسيرة المعركة وصعوبتها. ((وفي ذلك نظرة نفسية عميقة وبعيدة لا تقف عند حدوث الحدث بل تتعداه إلى الأزمان المتعاقبة))[٧٠]، فلا نعجب بعدها أن نسمع التاريخ يخبرنا بمخاطبة العباس بن علي عليه السلام لنفسه في أثناء المعركة قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... فبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين شارب المنون ... وتشربين بارد المعين

والله ما هذا فعال ديني ... ولا فعال صادق اليقين[٧١]

وفي مكان آخر يقول:

يا نفس لا تخشي من الكفار ... وأبشري برحمة الجبار

مع النبي سيد الأبرار ... قد قطعوا في بغيهم يساري[٧٢]

فهنا نجد أن النفس قد تحدّث اصحابها في الانسحاب من المعركة، لكنها تجد زجراً واضحاً من أصحابها بالاتجاه الذي يسير نحو الشهادة.

وعلى الرغم من قلّة العدد أمام العدوّ، لكن هذه القلّة لم تكن موطن ضعف في المعركة بل هي عنصر قوة وإصرار ((ألا وَإِنِّي زاحِفٌ بِهذِهِ الأُسْرَةِ عَلى قِلَّةِ الْعَدَدِ، وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ))[٧٣]، فالقلة لا تعني الوهن والتراجع، بل أنها مدعاة للزحف نحو العدو، وتحقيق النصر الموعود ولو بعد حين، وهذا تجسيد لقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٩)، وهو ما يفسر ما قاله الاعداء في حق الإمام: ((فو الله! ما رأيت مكثوراً قطّ، قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه))[٧٤]

المبحث الرابع

مقام التمسك بالحق (أهل الحق)

الحق هو نبراس الوجود في عالم الدنيا والاخرة، وهو ميزان بين طريق العدل وطريق الانحراف، فهو اسم من اسماء الخالق عز وجل، وهو من صفات المؤمنين الذين مدحهم القرآن الكريم بقوله: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر ١- ٣). وفي قوله: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: ٣٥).؛ لذا وُضع امير المؤمنين عليه السلام شاهداً على هذه الامة؛ لأنه يمثل مفرق طرق بين الحق وغيره وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وآله (علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار)[٧٥] والنفس الانسانية بكلّ مراتبها تدعو إلى الحقّ حتى ولو ادعاءً وزوراً، وتدافع عنه وتفتخر أنها معه.

وقد أوضح الإمام الحسين عليه السلام هذا المنهج الذي هو طريق السير إلى الله، وصفة من صفات الائمة الهداة، وتبيّن من اسلوب خطابه ومفردات النص الحسيني أنه يحاور هؤلاء القوم حواراً هادئاً، منطلقاً من حقيقة نفسية بديهية، هي حتمية وجود الفروق الفردية والاختلاف بين البشر في قبول الحق من عدمه، وما يستلزمها من تباين في درجات التلقي وحرية الاختيار والانتماء واختلافهما.

أسلوب منهجي في الحوار من أجل الوصول إلى الحق عن اقتناع عقلي، وارتياح نفسي، ويجعل صاحبه يعيش حياته وهو ثابت على ما آمن به ثباتًا لا ينازعه ريب، ولا يخالطه شك. وحواره مع الامة يسير على وفق منطق الحوار القرآني، وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)؛ فهو لا ينطلق من مبدأ الوصاية على الآخر، على الرغم من إيمانه بأنه الإمام المفترض الطاعة، وحوراه مع هؤلاء بهذه الطريقة؛ لا يعني أنه تخلى عن تصوراته واعتقاده انه مع الحق؛ بل أن هدفه هو البحث عن أثبات الحق. لذا فإن قبول ثورته ضد الظلم هو عنوان رسالته الخالدة، وتشخيص علل الانحراف وبيان علاجها، إذ يقول: ((ألا ترون أنَّ الحق لا يعمل به، وأنَّ الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء اللّه محقّاً))[٧٦]، فأسلوبية الاستنكار لترك العمل بالحق الذي هو ميزان العدل في الارض، وتأكيد عدم التناهي عن الباطل؛ توحي بأن وضع الامة إلى طريق مظلم، يحتاج إلى تضحية من المؤمنين الذين يحبّون اللقاء مع الله تعالى، ومن أحقّ بهذا اللقاء وهذه التضحية من الحسين عليه السلام؟

إلا أنه عليه السلام لا ينطلق من مبدأ الجبر والتعسف، بل هو يحبّب للمؤمنين دفاعهم عن الحق ويرغّبهم فيه، ولا يدعوهم اليه بعنف الكلمة وسلطة السيف، ((فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق)) وهذا المقطع السابق كان من وصية لأهل بيته عليه السلام؛ ولكنها صالحة لكلّ زمان، فالوصية مصاغة ومعدة لتكون رسالة خاصة لكلّ واحد من أبناء الأمة، وفيها يربط الإمام بين قبول اصلاحاته مع منهجه التي هي الحق بعينه، ولعل العبارة توضح مدى شفافية الثورة الحسينية في صدقها وإخلاصها للمنهج الالهي،؛ تُبين له وبمنتهى الإيجاز الغاية من خروج الإمام الحسين، وهي سؤال موجّه لكلّ فرد من أفراد الأمة مفاده: هل تقبل هذا الحق، أو تردّه على صاحبه؟ وهي بمثابة دعوة لكل من بلغ لينصر هذا الحق. فهو يرى ((أن مبدأ الوجود هو الحق ومعاد الوجود إلى الحق، والوسط بين المبدأ والمنتهى وهو صراط الله المستقيم الذي جاء به عبده ورسوله هو الحق، فلا مناص للإنسان إلا من قبول الحق، فإن قبل فالله أولى بالحق، وإن ردّ فيقضي الله عليه بالحق. فقد أفاد بهذا البيان أن مسيره عليه السلام من الحق للحق إلى الحق))[٧٧]. وهذه الوصية التي سمعت بها الأمة بالضرورة هي بمثابة

الحجة التي يقيمها الإمام الحسين على الأمة، ولم يتوقف الإمام الحسين عند الوصية بل كشف للأمة حقيقة الخليفة ونظامه، فأعلن أمام الأمة ((إن الخليفة ومن والاه قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمور، واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين))(٧٨).

ولكن الإمام على دراية بأن قبول الحق ليس أمراً هيناً، وليس طريقاً سهلاً، وهو يعرف تماماً الطاقة النفسية التي يتمتع بها ناس زمانه، ويعرف مدى انفعالهم وتفاعلهم مع الحقّ وأهله، وشخّص طبيعة المجتمع وسائر غرائزه واتجاهاته في هذه العبارة، حين نزوله أرض كربلاء ((إنَّ النّاسَ عَبيدُ الدُّنْيا، وَالدّينُ لَعْقٌ عَلى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ ما دَرَّتْ مَعايشُهُمْ، فَإِذا مُحِّصُوا بِالْبَلاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ))(٧٩)، يا لها من كلمات مشرقة حكت واقع الناس في جميع مراحل التأريخ، فهم عبيد الدنيا في كل زمان ومكان، وأما الدين فلا ظلّ له في أعماق نفوسهم، فإذا دهمتهم عاصفة من البلاء تنكروا له وابتعدوا منه. نعم.. إن الدين بجوهره تجده عند الإمام الحسين وعند الصفوة من أهل بيته وأصحابه حيث امتزج بمشاعرهم، وتفاعل مع عواطفهم فانبروا إلى ساحات الموت ليرفعوا شأنه، وقول الإمام الحسين عليه السلام هذا يمكن أن يقال عنه أنه وصفة حسينية مستمدة من آية قرآنية إلهية وهي قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١٢).

فإن قول الحسين: الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، وقوله عليه السلام: يحوطونه ما درت معايشهم، فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾، وقوله: عليه السلام: فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديانون، فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ فقبول الحق ليس سهلاً فهو أمر يكرهه عامة الناس وهذا ما أكدّ عليه القرآن الكريم بقوله: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾(المؤمنون:٧٠)، وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمُ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (الانبياء:٢٤)، وهذا التشخيص النفسي للمجتمع المسلم لا يحُبط الإمام؛ بل يزيده اصرارا على مواصلة هداية الناس واقامة الحجة عليهم؛ لذا فالإمام ينتقل إلى مرحلة اخرى

متوقعة من هذه الامة وهو رفض دعوة الحق، فبعد رفضهم للحق وردهم عليه - وهو المتوقع من اغلبية الناس - كان الإمام يهيئ ردّة فعل مناسبة لمن يقف بوجه الحق. وذلك بقوله: ((وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هذا أَصْبِرُ حَتّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْني وَبَيْنَ الْقَومِ بِالْحَقِّ))، وهو ما يكشف عن مقام آخر تتمتع به الإمامة الإلهية وهو مقام الصبر الذي سنبسط القول فيه في مبحث آخر. فهو عليه السلام لا يريد ان يكون قبول الناس له لأجل علاقات شخصية أو مصلحية، أو عصبية عشائرية، أو غير ذلك، وإنما انطلاقاً من الحق، وانسجاماً معه؛ لأنه من يمثل ذلك الحق، فقال: (فمن قبلني بقبول الحق) وقبول الحق من الأمور والاعمال الصالحة التي يقبلها الله ويحبها، ولا يعود نفعه إلى الإمام كشخص أو كفئة منتمي أليها، ولذلك قال: (فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر). فلم يقل: أحارب من ردّ عليّ هذا وأعاديه، بل هو قد أرجع الحكم في ذلك إلى الله سبحانه وتعالى(٨٠).

وهو ما شدّد عليه حين خاطب الجيش الذي يريد قتاله: ((فَإِنْ صَدَّقْتُمُوني بِما أَقُولُ، وَهُوَ الحَقُّ، فَوَاللهِ! ما تَعَمَّدْتُ كِذَباً مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ يَمْقُتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَيُضَرُّ بِهِ مَنِ اخْتَلَقَهُ))(٨١)، فهو هنا يشير بوضوح أن ما يقوله هو الحق، وهو يعلم بأن معظم هؤلاء المخاطبين لا يريدون اتبّاع الحقّ وليس الحقُّ هدفاً من أهدافهم، بل هم يريدون ان يطيعوا سلطانهم واهواءهم والحصول على ما وعدوا به من السلطان. فإن الدفاع عن الحق الذي هو منهج النبوة ومعها الإمامة الالهية، وهو صفةٌ ومعلمٌ من معالم الثورة ضد الانحراف، يرفع الإمام عليه السلام شعارا آخر للسير في طريق الحق وهو عندما طلب منه ان ينزل على حكم عبيد الله بن زياد((لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر اقرار العبيد))(٨٢)، القسم أمام الناس من قبل الإمام هدفه تثبيت الرفض في نفوسهم لسلطة منحرفة ((وأقام الحجة كاملة عليهم، وشهدوا بذلك على أنفسهم من حيث لا يشعرون، فعصوه وهم يعلمون أن طاعته هي الأولى، وخذلوه وهم يعلمون أن الله تعالى فرض عليهم نصرته، فجاء عصيانهم وخذلانهم بعد إقامة الحجة، ومع سبق الترصد والإصرار، ولم ييأس الإمام الحسين، إنما تابع جهده لكسب هذه الطليعة وللتضييق عليها إمعانا بإقامة الحجة أثناء مسيرته))(٨٣). ولا ريب أن هذا من شأنه أن يقوى أواصر الشد النفسي بين الإمام ومن يحب الحق ويؤمن به؛ ليكون مصداقاً من مصاديق التضحية مع الإمام.

وفي مقام آخر يشير بوضوح إلى أنه يفضّل الموت على أن ينحرف خطه وسيره عن الحق؛ ((فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً))(٨٤). ولا شك ان هذه ليست صفات من عشق الدنيا على حساب التنصل عن الحق والدفاع عنه؛ وهي صفات الشخص الالهي الذي عرف أن لا قيمة للحياة إن لم تسير على مبادئ الرسالة الالهية. وهو ما يفتح الافاق أمام مقام آخر من مقامات الائمة عليهم السلام وهو مقام الصبر على الحق، والصبر في الدفاع عنه؛ ليكون مصداقاً لقوله تعالى: وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

المبحث الخامس

مقام الصبر: الأئمة صابرون

الصبر مفهوم واسع وله مستويات متعددة؛ لذا عُرِّف بتعريفات مختلفة، وحُدَّ بحدود شتّى، نكتفي منها بما يحقق لنا المبتغى، فلعل تعريفه بـ((حبس النفس على ما يقرّه العقل والشرع، وعما يقتضيان حبسها عنه))(٨٥)، جامع لجزئياته، ويتناسب مع صفة البحث هنا. ولكي لا نذهب بعيدا مع التعريفات نكتفي بما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله؛ إذ أنّه قال: ((قلت: يا جبرئيل ما تفسير الصبر؟ قال: تصبر في الضرّاء كما تصبر في السرّاء، وفي الفاقة كما تصبر في الغنى، وفي البلاء كما تصبر في العافية، فلا يشكو حاله عند المخلوق بما يصيبه من البلاء))(٨٦). فهذا الجمع بين المتضادات يبيّن لنا أن الصبر على ما نحب وعلى ما نكره، وتاج الصبر وحسنه أنه بين العبد وربه، وهذا هو الصبر الجميل، كما ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام حيث سُئل: ما الصبر الجميل؟ قال: ((ذلك صبرٌ ليس منه شكوى إلى الناس))(٨٧).

من هنا نرى ان الصبر هو الصمود المستمر أمام المغريات التي تحبّها النفس، أو هو تحمّل الأشياء المؤلمة نفسياً وقبولها بروح عالية ونفس طيبة، دون إظهار ملامح الاستياء والانفعال على الوجه، أو على تصرفات الصابر، بحيث لا تكون مرئية أو محسوسة من قبل الاخرين، وهو واجب عند المصائب والشدائد.

والصبر صفة الانبياء والرسل الذين غالباً ما يُؤمرون به و يُمدحون بحملهم لهذه الصفات ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ١٧)، وقوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤٤)، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ

الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الاحقاف: ٣٥)، وكثرة صيغة الامر بفعل الصبر والتي بلغت في القرآن (١١) مرة؛ دليل على أن الصبر منهج قرآني في السعي لتثبيت النفس الانسانية أمام صعوبات العودة إلى الله.

وهذا المنهج ليس بعيداً عن طريقة الإمام الحسين لمواجهة الانحراف الذي ابتليت به الامة، وهو في منصب الإمامة الذي يسير فيه على منهج النبوة. فيقول: ((وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هذا أَصْبِرُ حَتّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْني وَبَيْنَ الْقَومِ بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمينَ))[٨٨]، فهو يطرح مشروعه الاصلاحي ومطمئن بأحقيته، ثم يُخيّر الناس بين قبوله أو رفضه، وبديهي أن عملية رفض الحق والقبول به واصلاح الأئمة تحتاج إلى صبر عظيم.

من هنا نستطيع أن نقرأ الصورة التي رسمها الإمام الحسين عليه السلام للإمام الذي يجب ان تتبعه الامة وتسير على هديه، فهو لا يُوعد الناس بسلطة زائفة بعيدة عن طريق الله تعالى، بل أن طريق الإمام هو الحقّ بعينه، وهذا الحقّ فيه مسؤوليات عظيمة، وأهم هذه المسؤوليات وأوضحها انها تسير في قبول الله تعالى لها. فمعرفة الحق مقدمة واضحة للصبر عليه﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر:٣)، وهذا المنهج الخطابي لافت إلى أن قائله يتجه وجهة مخالفة للنسق الثقافي السياسي الذي يوعد الناس وعداً قريباً. وهي سمة اسلوبية تميّز بها الخطاب الحسيني تجعله مختلفاً عن الخطابات الاخرى.

المهم في سيرة الإمام انه يرضي الله وليس رضى الناس، فالعبادة لا تكتمل الا برضى الله ورضى الله طريقه رضى اهل البيت، ورضا الله يعني أن الانسان يصبر على بلائه، وهو ما اتضح من خطبته عليه السلام ((رِضىَ اللهِ رِضانا أَهْلَ الْبَيْت، نَصْبِرُ عَلى بَلائِه وَيُوَفّينا أُجُورَ الصّابِرينَ، لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لُحْمَتُهُ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ في حَظيرَةِ الْقُدْسِ، تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَيُنْجَزُ بِهِمْ وَعْدُهُ))[٨٩]، فهذا التسليم والاطمئنان؛ يُنبأ عن نفس قبلت بالحق وسارت على طريقه فهي راضية ومرضّية.

وقد نقلت لنا الروايات أنه عليه السلام خُيّر من قبل الله تعالى بين النصر والشهادة في كربلاء، فاختار الشهادة حبّاً للقاء الله سبحانه وتعالى. فقد روى الكليني عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((أنزل الله تعالى النصر على الحسين بن علي، حتى كان ما بين السماء والأرض، ثمّ خُيّرَ

النصر أو لقاءَ الله، فاختار لقاء الله))[٩٠]. ولا شك أن هذا النوع من الاختيار يحتاج إلى درجات من الصبر، وطّن الإمام نفسه عليها. فالنصر الدنيوي لا يكسب القضية الالهية شيئاً بقدر ما تكون الشهادة طريقاً للفتح ونرى أن هذ التخيير، هو اختبار لدرجات الصبر الذي يحمله الإمام، وإلا فإن النصر الالهي لا يُردّ من الإمام الا لرؤية ما ورائية يمتلكها المعصوم لقراءة ما بعد الحدث، فالنصر القريب في المعركة لا يعطي زخماً لديمومة الثورة واستمرار عجلتها في الدوران في كلّ مكان وخلودها على مرّ الازمان.

فهو يريد لمن يكون معه أن يقتدي به في عملية التحمل على البلاء الذي سوف يواجهونه في طريق الشهادة والفتح، فيباشر في جرعات نفسية لمن سوف يبقى بعده يحمل لواء نهضته التي اراد الله لها ان تكون خالدة، فيوصي أخته زينب: ((يا أُخْتاهْ! تَعَزّي بِعَزاءِ اللهِ وَارضي بِقَضاءِ اللهِ، فَإِنَّ سُكّانَ السَّماواتِ يَفْنُونَ وَأَهْلَ الأَرْضِ يَمُوتُونَ وَجَميعُ الْبَرِيَّةِ لا يَبْقُونَ، وَكُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَإِنَّ لي وَلَكِ وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ أُسْوَةٌ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. ثمّ قال لهنّ: أُنْظُرْنَ إِذا أَنا قُتِلْتُ فَلا تَشْقُقْنَ عَلَيَّ جَيْباً وَلا تَخْمِشْنَ وَجْهاً))[٩١]. مزيج من العبارات المستندة إلى كلام الله، توصف حالة الاطمئنان الذي يريد الإمام أن ينقله إلى اخته ومن معها من العائلة الذين هم جزء من ثورته، وهو الرضا بقضاء الله تعالى والعزاء بعزائه والتأسّي بالرسول الاكرم، فعبارات عزاء الله، وقضاء الله، رسالة نفسية إلى اهل بيته بعلاقة الثورة بالخالق، ثم استعمال السجع في الواو والنون(يفنون، يموتون، لا يبقون، ترجعون) مع ما فيه من استئناس الاذن بنغم صوتي يهدئ النفس، فيه دلالات حتمية القدر التي لابد من قبولها والركون اليها دون اعتراض. فإن إظهار حالة الضعف أمام العدو أو الصديق قد تفقد المعركة ديمومتها وبريقها، فالنهي عن شقّ الجيوب وخمش الوجوه، وهي حالة الجزع المتوقع من فقدان الإمام واهل بيته التي تحتاج لتجاوزها إلى درجات من الصبر.

كلّ ذلك ليظهر اهل بيته ونساؤه أمام الاعداء بأقوى جلباب. فليس نستغرب بعدها عندما تكون زينب في موقع المسؤولية، إذ وقفت على جسد اخيها صابرة غير مدهوشة محتسبة، فشخصت ببصرها إلى السماء، وهي تقول بحماسة الايمان وحرارة العقيدة: ((اللهم تقبل منّا هذا القربان))[٩٢]. فأي نفس هذه التي توطّن صبرها لتقدم قرباناً مثل الحسين عليه السلام؟

المبحث السادس

مقام الإصلاح (الأئمة مصلحون)

الحاجة إلى الاصلاح حاجة مستمرة في كلّ نظام، وهذه الحاجة قد تكون قهرية أي أنها تفرض من قبلِ صاحب التكوين، كما يجري في حركة الكون، وقد تكون في الانسان لأنه يسعى إلى التكامل فتكون الحركة الإصلاحية ضرورية في المجتمع، فبدون الاصلاح لا يتم التكامل، والانسان تميّز عن غيره من الموجودات، وهو مختلف في قدرته على الاختيار؛ لذا تكون حركته نحو الاصلاح حركة ارادية لا قهرية(٩٣).

ولا يخفى أن المجتمع الاسلامي أصابه كثير من الفساد بعد انقطاع الوحي ورحيل الرسول ﷺ؛ إذ اتجهت السلطة الحاكمة بعد النبي الأكرم إلى متاهات سياسية خطيرة في جميع مستويات الحياة سواء الاقتصادية منها أم المعرفية، واصبحت السلطة مثاراً للجدل ودولة بيد المنافقين، والعبارة التالية تصف هذه الحالة وصفاً دقيقاً ((واستأثر بالسلطة من كان من الطلقاء وأبناء الطلقاء، والذين وقفوا في الصفّ الأوّل لمحاربة سيّد البشر ﷺ، ليحصلوا على الغنى والثراء، فملكوا الصفراء والبيضاء، والعقار والبساتين، فلا يجاريهم أحد من المسلمين في غناهم، وأخذت الناس تتذمّر من هذا التصرّف الجاهلي... وامتلأت الجماهير احتقاناً على السلطة، وبان الاختلاف بينهما، إلاّ أنّ قوّة السلاح والقهر والاضطهاد كمّمت أفواه الناس، وكثرت التحدّيات للدولة الإسلاميّة، وشعر المسلمون بالخطر الذي يهدّدهم، سواء من الخارج أو الداخل، فاحتاجت الجماهير إلى المحرّك والمنتفض على الاستبداد السلطوي))(٩٤). فإصلاح هكذا انحراف يحتاج إلى منهجيّة جديدة ومختلفة، وسلاح قادر على أن يضع حداً للفساد الذي استشرى في مفاصل الدولة، فكان لابد من وضع خطوط هامة لكي تظهر معالم الإشعاع الإصلاحي، وكان لابد من التضحية من الذي يريد أن يعمل هذ الاصلاح، والتضحية هدفها هو إيقاظ هذه النفوس من سبات مرير؛ ليتسامى المنهج الحسيني ويبدأ برسم معالم الثورة، ويضع موازين الحقّ على وفق أُسس العدالة الإلهيّة، وهوما سعى له أهل البيت عليهم السلام في إعادة الأُمّة إلى سابق عهدها، واسترجاعها لكرامتها المسلوبة(٩٥).

هدف الإمام إذن هو الاصلاح والتغيير، ولكنه التغيير الذي يسير على وفق خطى

ومنهج الإمامة و القيادة الشرعية؛ ليكون هذا التغيير مقدمة لتحريك الامة وتحرير ارادتها؛ كي تنتصر للإرادة الإلهية. وليس بالضروري ان يكون الاصلاح والتغيير بتسلم السلطة والجلوس على عروشها، وإنما بإظهار مكامن الفساد ومحاربته، وتنبيه الأمة اليه ويكون عن طريق الطلب والعمل الجاد، وليس بالقوة والغطرسة، وهو منهج سار عليه أهل البيت على طول الخط، وفي رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية بيانٌ لمعالم الإصلاح الالهي الذي يعتمد على مبدأ السيرة المنهجية التي سار عليها اسلاف المصلح؛ إذ يقول: ((وأَنّي لَمْ أَخْرُجْ أشراً، وَلا بَطراً، وَلا مُفْسداً، وَلا ظالماً، وَإنَّما خَرَجْتُ لطَلَب الاْصْلاحِ في أُمَّة جَدّي صلى الله عليه وآله، أُريدُ أَنْ آمُرَ بالْمَعْرُوفِ وأَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسيرَ بسيرَةِ جَدّي وَأَبي عَليِّ بْنِ أَبي طالِب عليه السلام))[٩٦].

فنحن أمام رسالة وان كان ظاهرها انها موجهة إلى شخص واحد، معلوم أنه من الناجين من الموت الحتمي، لكنها في الواقع موجهة إلى الامة المسلمة في جميع مراحلها، فهدفها إذن لم يكن محفوظاً عند الشخص الذي ارسلت اليه؛ لذا فحركة الاصلاح تتجاوز الزمان والمكان الذي قيلت فيه وتتجه إلى نشرها في حركة الزمن.

وهي تبيّن نوازع النفس الإنسانية من (الاشر، والبطر، الفساد، والظلم)، وقد تقدمها نفي لهذه الصفات التي لا تتناسب مع مقام الاصلاح، فنجد ان الإمام في قوله:(لم أخرج...) قد نفى عنه صفات الخروج المنحرف الذي دعت اليه بعض الفئات الضالة كالخوارج، فأراد الإمام ان يوضح ان خروجه ليس كخروج هؤلاء؛ لذلك يؤكد ان خروجه هو لطلب الاصلاح ((وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي))، إذن الخروج هنا فيه صفة الإصلاح الذي هو هدف كلّ الرسائل السماوية، والاصلاح المنشود لم يكن إصلاحاً للحكم او للأمور الاخرى فحسب؛ بل هو إصلاح في أمة الرسول الذي عبّر عنه الإمام (جدي)، وهذا يبيّن عمق الانتماء النسبي للرسول الاكرم؛ ليحقّق مقولة اهل البيت المعصومين، ويبيّن الاستحقاق الشرفي لتولي رفع راية الاصلاح، وهم لهم الحاكمية ((فحاكميّة أهل البيت عليهم السلام وطاعتهم هو السبيل الوحيد للتكامل والرقيّ، فكانت حقّاً كربلاء المصحّح لمسيرة الأُمّة، والباني لمجدها، فهي العنوان الأوضح لمسيرة الإصلاح الإنساني))[٩٧].

فإحياء مشروع الإمامة الإلهية كما يفهم ذلك من قوله عليه السلام: ((وأسير بسيرة جدي

وأبي)) لا بسيرة غيرهم من الحكام الذين سبقوا امير المؤمنين عليه السلام، فتلك سيرة لا تتناسب مع مقام الإمامة الالهية، فهي لم تكن سيرة إصلاح، فسكوته عن ذكر سيرة غيرهم يعني عدم القبول بها، وهو بذلك ((قد حمل إلى الناس شعار بطلان أمر الخلافة القائمة، وصحة أمر الإمامة، وهدفه من كلّ ما قال وفعل؛ أن يؤمن الآخرون بهذا الشعار، فمن آمن به اهتدى، ومن لم يؤمن بعد أن بلغه نداء الإمام تمت الحجة عليه، ومن ثم كان يعمل جاهدا في سبيل نشر قضيته))[٩٨]، وهو شعار سار عليه من كان قبله، حين طُلب ذلك من أبيه أمير المؤمنين في دعوى الشورى، بأن يكون على سيرة الشيخين، ورفضها الإمام صراحة[٩٩].

والشيء اللافت في ذلك أنه يريد الإصلاح في أمة جده. ومع إن الإصلاح أمر مطلوب عقلاً، ولا بد أن يسعى إليه كلّ من كان منسجماً مع أحكام العقل والفطرة والدين، وقد بانت معالم الانحراف في كثير من الافراد والجماعات، إلا ان دقة العبارة توحي لنا بشيء مهم وجديد، وهو إن الإمام عليه السلام لم يقل: أريد إصلاح الأمة، بل هو يريد الإصلاح في الأمة. وهذه الظرفية التي استبطنها حرف الجر (في)؛ توحي أن الإمام لا يستهدف الامة بل أنه يأمل فيها الخير، وهو ما يبذر بذرة الامل في حركة الاصلاح، ويبعث الطمأنينة في نفوس المستضعفين، ويبث في قلوبهم أمل القضاء على الانحراف، ويكشف مواطنه ليكون هو المستهدف؛ فلا بد لهم من المشاركة في هذا الاصلاح وان يسعوا إلى التعاون في إصلاحهم. دون أن يشعروا هم أنفسهم أنهم مستهدفون في هذه الحركة الاصلاحية التي هي منهم وفيهم.

وهو منهج قرآني لا يفهمه الا اهل القرآن والذين يمثلون خط النبوة الذي دعاه المولى عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)، فيلاحظ ان الإمام عليه السلام يطبق مصاديق الدعوة إلى الحق وهو سبيل الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة بلا إجبار للناس بل انه دائما ما يعلمهم الطرق الذي يسير عليه وهو الشهادة.

واستمر الإمام في هذا المنهج وهو بيان انحراف الحكام وأتباعهم، وبيان اولوية الاصلاح، واولية الدفاع عن ذلك بشخصه الكريم الذي يرى فيه انه وحده المسؤول عن ذلك الاصلاح لأعلاء كلمة الله تعالى كما في جوابه للفرزدق: ((إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لَزِمُوا طاعَةَ الشَّيْطانِ، وَتَرَكُوا طاعَةَ الرَّحْمانِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسادَ في الأَرْضِ، وَأَبْطَلُوا الْحُدُودَ، وَشَرِبُوا

الْخُمُورَ، وَاسْتَأْثَرُوا فِي أَمْوالِ الْفُقَراءِ وَالْمَساكِينَ))[١٠٠]، فبعد ان بيّن الإمام معالم الفساد عند المتسلطين على رقاب الناس وفي جميع المستويات، فما الحلّ إذن من وجهة نظر الاصلاح؟ يأتي الجواب بأحقية المصلح الذي يهدف بإصلاحه الوصول إلى الله، فيقول: ((وَأَنا أَوْلى مَنْ قامَ بِنُصْرَةِ دينِ اللهِ وَإِعْزازِ شَرْعِهِ وَالْجِهادِ فِي سَبيلِهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيا))[١٠١]. هدف سامي ومقام مشرف لا ينظر إلى الدنيا القريبة بل يبتعد إلى حيث إعلاء كلمة الحق وهي كلمة الله. وهو نهاية المأمول من كل عملية إصلاح لا يفهمها ولا يصل اليها الا من كان يتمتع بمقام الإمامة الالهية. وامتداد النبوة بالإمامة فأصبحت الوظيفة واضحة؛ لذا قد أوضح الإمام عليه السلام الخطوط العامة لصفات الإمام الذي يجب أن يُنصب من قبل الله تعالى لقيادة الامة، وذلك في كتابه لأهل الكوفة: ((فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله))[١٠٢]، فالقَسَمُ الذي قدمه النص فيه دلالة على حقيقة ثابتة يؤمن بها صاحبها ويزيد في تأكيدها، وهذه الصفات التي ذُكرت هي الصفات الظاهرة للإمام التي لا تحتاج إلى تأويل ((فمن تحلى بهذه الصفات كان له الحق في تقديم نفسه لإمامة المسلمين وخلافتهم، ومن لم يتصف بها فلا حق له في التصدي لهذا المركز الخطير الذي كان يشغله الرسول صلى الله عليه وآله... ان الخلافة الاسلامية ليست مجرد سلطة زمنية على الأمة، وانما هي نيابة عن الرسول صلى الله عليه وآله وامتداد ذاتي لحكومته المشرقة))[١٠٣].

ومنها يستشعر السامع لهذه الخطابات وهو ترتسم أمامه صفات الإمام ومقاماته الالهية؛ فيكون عمله وحركته معهم عن وعي لا عن ضلالة، فأننا حين تتبعنا لأقواله وخطبه كان يبرّز هذه الصفات ويؤكد عليها في أكثر المناسبات التي يخاطب فيها أتباعه، ليزدادوا التصاقاً بالإمام وتقوى اواصر الشد النفسي مع القائد الإلهي، أو يخاطب المناوئين له؛ لكي ترتد اليهم انفاسهم حيارى لا يعرفون ماذا يصنعون وهم بين نارين، نار الولاء للسلطة والخوف من السلطان ونار ترك الإمام حتى تتحكم النفس في خيارات الجنة والنار.. فهو أراد ان تكون هذه الصفات والمقامات منهاجَ عملٍ له ولأتباعه كما أراد أن يخرجها من النظرية إلى التطبيق.

هذا ما سمحت به مساحة الزمن للباحث، و إلا فالبحث فيه أفق أوسع للاستمرار، نسأل الله أن نكون قد وفقنا لفتح كوّة في طريق المعرفة لحقيقة الإمامة الحسينية. واضفنا شيئاً

لخزانة المكتبة الموالية لأهل البيت عليهم السلام. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الخاتمة والنتائج:

إن الخطاب في زمن الإمام الحسين عليه السلام كان الوسيلة المثلى التي يوصل فيها الانسان افكاره إلى من حوله، والخطاب الذي خاطب فيه الإمام كان يستهدف جميع أفراد الأمة في كل زمان ومكان، وهو يؤكد دائماً على ابراز دور الإمام المعصوم وذكر مقامات الإمامة. وقد وجد البحث أن الإمام الحسين ومن خلال ذكر هذه المقامات ترك اثاراً نفسية على سامعيه تراوحت بين السلب والايجاب فكانت النتائج كالاتي:

١- التأكيد على مقام الانتماء للنبوة والرسالة في معظم الاشارات، وكان هذا التأكيد معلماً نفسياً مهماً لتُرجع الناس إلى قادتها الحقيقين الذين ساواهم الرسول مع القران في حديث الثقلين، وهو ما جعل المحبين ينفعلون نفسياً إلى درجة الاقدام المثالي في الدفاع عن شخص الإمام باعتباره سليل النبوة. وفي الاتجاه الاخر ظهرت نفوس ساخطة على منهج الرسالة فضلاً عن طريق الإمامة.

٢- ذكر المغيبات واستشراف الحالات المهمة التي تُعد محوراً مهماً ومفصلياً في حياة الامة، وهذا خلق قوة اتصال مع من يريد أن يلتحق بالركب الإمامي؛ لأن ذكرها يزيد من قوة إيمانه وطمأنة نفسه بقربهم من المولى عز وجل.

٣- تخلية النفس من حب الدنيا، ورسم صورة مشرقة للانتقال إلى الاخرة التي كانت لقاء مع الله، وفيها سعادة، ويتبعها فتح يساوي الشهادة، كلّها أمور جعلت من اصحاب الإمام الحسين وأهل بيته يتفانون شوقاً لهذا اللقاء الموعود.

٤- تشخيص معالم الانتماء إلى أهل الحق، والمطالبة بالاقتداء بهم لا على نحو الاكراه بل بالترغيب وعدم التمويه، فالحقّ بيّنٌ ولا غبار عليه، فمن ترغب نفسه في أن تكون مع الحق فلابد من توطينها على تحمل تبعات ذلك، وهو مالا يحصل الا بالصبر والتوكل على الله، وهذا من أهم علامات الخطاب الحسيني وميزة تكاد تكون طاغية فيه.

٥- حركة الاصلاح النفسي والعقائدي، كانت من أهم أهداف الخطاب الحسيني وهي صفة مهمة، ومقام الانبياء تجسّد في هذا الاصلاح بعد عمليات الهدم والتخريب الذي تركه وخلّفته حركات الافساد العلني والمقصود من قبل السلطة الحاكمة لتسويغ السيطرة على نفوس الناس.

وفي البحث نتائج ملموسة يمكن للقارئ الاطلاع عليها في صفاحاته، نتمنى ان تلقى استحسان الباحثين ورضاهم، وقبل ذلك كله نرجو رضا الله تعالى ورضا اهل البيت عليهم السلام.

ABSTRAC

To every speech has graphic function and style that distinguishes it; aimed at influencing the recipient toward what he believes in his speech, it is inevitable to acknowledge the ability rhetorically, to illustrate the psychological monuments sentimental text of the creator wants to be affected by the listener and makes him emotional speech positively or negatively, and raises at the same reservoirs of good and evil, and the speech-Husseini, including loads of prospects for the guidance and look to the future, it was an important reason for the employment of the human soul and raised and moved in the directions of guidance and righteousness and the statement of the right parameters and the creation of man to face difficulties and patience it, to get excited by and landmarks President, from here saw the researcher highlights shrines Imamate in Husseiniya speeches, read and read for the method in which it was said the text, and the statement of the psychological function of this text on the receiver, and the extent of the response and levels, type of discourse in order to be complete understanding between the creator and the receiver. dramatically the table on the strength of the table and pave several sections, separated during which the researcher some psychological cues and important to create a personal navigator forward supposed obedience outlined in the speech Husseini, which draws the path of guidance and reform in the nation of his grandfather and father were on the form in which they appeared. The research includes also the conclusion of a researcher outlined the most important results.

هوامش البحث

(١) بحار الانوار ٩٨: ٢٩١.
(٢) الإمامة الالهية: ١: ٢٧٨
(٣) علم النفس الاسلامي، د. محمود عبدالله محمد خوالدة: ٢٦، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الاردن: ٢٠٠٤
(٤) الاسلوب بين التراث البلاغي العربي والاسلوبية الحداثية، د. محمد بلوحي، موقع جامعة أم القرى: ١
(٥) المصدر نفسه: ٣
(٦) الصورة الفنية في المثل القرآني: ٣٤٩
(٧) ينظر: القراءة النفسية للنص الادبي العربي، الدكتور محمد عيسى، مجلة جامعة دمشق-المجلد ١٩-العدد ١+٢ -٢٠٠٣: ٢٧
(٨) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني: ٣٩
(٩) الاسلام وعلم النفس: ٧
(١٠) الخطاب الحسيني في معركة الطف: ٢٧
(١١) ينظر: مقاييس اللغة ٥: ٤٧٩
(١٢) اصول الكافي ٥: ٣٧٣ وعيون أخبار الرضا ٢: ٣٠٥
(١٣) ينظر: الفتوح ٥: ١٤،.
(١٤) قراءات في بيانات الثورة الحسينية وأبعادها الرئيسة: ٦٤
(١٥) ينظر المصدر نفسه
(١٦) ينظر المصدر نفسه
(١٧) ينظر الخطاب الحسيني في معركة الطف: ٥١
(١٨) ينظر: تاريخ الطبري ٤: ٢٥١
(١٩) العوالم. الإمام الحسين: ١٧٤-١٧٥
(٢٠) الحسين سيد الشهداء، عباس محمود العقاد، منشورات الشريف الرضي. ط: ٢: ٧٠
(٢١) ينظر تأريخ الطبري ٣: ٢٨٠
(٢٢) ينظر المصدر نفسه
(٢٣) ينظر المصدر نفسه
(٢٤) ينظر المصدر نفسه
(٢٥) المصدر نفسه ٤: ٢٩٠
(٢٦) الرسالية في الثورة الحسينية: ٢٤٦
(٢٧) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣
(٢٨) المصدر نفسه ٤: ٣٢٦

(٢٩) المصدر نفسه ٤: ٣٢٥
(٣٠) الكامل في التاريخ ٤: ٥٧
(٣١) ينظر: بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦، العوالم ١٧: ٢١٦.
(٣٢) ينظر المصدر نفسه
(٣٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٦
(٣٤) ينابيع المودة ٣: ٦٠ وينظر اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٠
(٣٥) العوالم: ٣١٧
(٣٦) كربلاء. الثورة والمأساة: ٢٣٣
(٣٧) ينابع المودة ٣: ٦٢
(٣٨) الطبري ٤: ٣٩٩
(٣٩) الكامل في التاريخ ٤: ٤٢
(٤٠) العوالم ٧: ١٦٥
(٤١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢١٩
(٤٢) المصدر نفسه
(٤٣) ينظر: أدب الحسين وحماسته: ١٦١.
(٤٤) مقتل الإمام الحسين للخوارزمي٢: ٨
(٤٥) الفتوح ٥: ١٠٠
(٤٦). الفتوح ٥: ٧٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٢٦
(٤٧) ينظر: تاريخ الطبري ٤: ٣٢٨ والبداية والنهاية ٨: ١٩٦
(٤٨) ينظر تاريخ الطبري ٤: ٣٢٨
(٤٩) بحار الانوار٤٥: ٨٧
(٥٠) في رحاب الإمام الحسين يوم عاشوراء: ٩٥- ٩٧
(٥١) الاخبار الطوال: ٢٥١
(٥٢) مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة ٣: ٢٧٨
(٥٣) نهج البلاغة ٣: ١٣٨
(٥٤) ينظر: شرح نهج البلاغة للبحراني ٤: ١٩٠.
(٥٥) الطبري ٤: ٣٠٥
(٥٦) ؛ ينظر: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينة: ١٥٨
(٥٧) الطبري ٣: ٣٠٧
(٥٨) بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦، العوالم ١٧: ٢١٦

(٥٩) في رحاب الإمام الحسين في يوم عاشوراء: ٢٤٠
(٦٠). ينظر: الخطاب الحسيني في واقعة الطف: ٦٤
(٦١) ينظر المصدر نفسه: ٦٥
(٦٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦، العوالم ١٧: ٢١٦
(٦٣) الموضوع السياسي في أدب الإمام الحسين عليه السلام، مجلة العميد: ١٢٣
(٦٤) ينظر: في رحاب الإمام الحسين يوم عاشوراء: ٢٩٠
(٦٥) بحار الانوار ٤٥: ٨٧
(٦٦) في رحاب الإمام الحسين يوم عاشوراء: ٢٤٤
(٦٧) الطبري ٤: ٣١٧
(٦٨) الطبري ٤: ٣١٨
(٦٩) بحار الانوار ٤٥: ٩٠
(٧٠) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ١٦٠
(٧١) ينابيع المودة ٣: ٦٧
(٧٢) المصدر نفسه
(٧٣) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢١٩
(٧٤) العوالم ٧: ٢٩٣
(٧٥) تاريخ بغداد ١٤: ٣٢١
(٧٦) الطبري ٤: ٣٠٥
(٧٧) مقدمة في اصول الدين الوحيد الخرساني: ٣٥٩.
(٧٨) ينظر: تذكرة الخواص: ٢١٧
(٧٩) العوالم ١٧: ٦١
(٨٠) ينظر: مختصر مفيد ١: ٧٠
(٨١) تاريخ الطبري٤: ٣٢٣، الكامل في التاريخ ٤: ٦٢
(٨٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣
(٨٣) كربلاء. الثورة والمأساة: ٢٥٤
(٨٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٥
(٨٥) مفردات الفاظ القرآن: ٤٧٤
(٨٦) معاني الاخبار: ٢٦١
(٨٧) الكافي ٢: ٩٣
(٨٨) العوالم ١٧: ١٧٩

(٨٩) العوالم ١٧: ٢١٦
(٩٠) الكافي ١: ٢٦٠
(٩١) الفتوح ٥: ٨٤
(٩٢) الكبريت الاحمر ٣: ١٣ نقلا عن الاخلاق الحسينية: ٢٩٣
(٩٣) ينظر: الإمام الحسين عليه السلام وحركة الانبياء الاصلاحية: ١١-١٣
(٩٤) الحداثة العولمة الارهاب في ميزان الثورة الحسينية: ٩٠- ٩١.
(٩٥) ينظر: المصدر نفسه: ٩١
(٩٦) العوالم ١٧: ١٧٩
(٩٧) معالم المدرستين ٣: ٣٠٢
(٩٨) معالم المدرستين ٣: ٣٠٣
(٩٩) ينظر: الغدير ٩: ٩٠
(١٠٠) العوالم ١٧: ٢٣٣
(١٠١) تذكرة الخواص: ٢١٧
(١٠٢) تاريخ الطبري٤: ٢٦٢"مقتل الإمام الحسين، للمقرم: ١٣٩
(١٠٣) حياة الإمام الحسين باقر شريف القرشي ٢: ٢٧٧

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الأخبار الطوال، أبي حنيفة أحمد بن داوود الدينوري (ت٢٨٢هـ) حقيق: عبد المنعم عامر / مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه / منشورات شريف الرضي، الطبعة الأولى/١٩٦٠م، القاهرة.

- الأخلاق الحسينية، جعفر البياتي الناشر: أنوار الهدى/ الطبعة: الأولى ١٤١٨.

- أدب الحسين وحماسته، أحمد صابري الهمداني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ايران، ط/١٤١٥،٣م

- الاسلام وعلم النفس، د. محمود البستاني، مجمع البحوث الاسلامية، إيران، مشهد، الطبعة الاولى١٤٠٩ هـ.

- الاسلوب بين التراث البلاغي العربي والاسلوبية الحداثية، د. محمد بلوحي، موقع جامعة أم القرى-

- الأصول من الكافي تأليف ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه الله المتوفى سنة ٣٢٩/٣٢٨هـ صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري دار الكتب الإسلامية / الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ، طهران.

- الإمام الحسين عليه السلام وحركة الانبياء الاصلاحية، السيد صدر الدين القبانجي، تقديم وتحقيق مؤسسة احياء التراث الشيعي، منشورات بقية العترة، النجف، الطبعة الاولى/١٤٢٨هـ.

- الإمامة الإلهية، بحوث سماعة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند، تأليف السيد محمد علي بحر العلوم، منشورات لسان الصدق، قم، الطبعة الأولى/ ١٤٢٧ ه - ٢٠٠٦ م.

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي "قدس الله سره"، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت٧٧٤هـ. حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان/ ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨ م.

- تاريخ الأمم والملوك، أبى جعفر محمد بن جرير الطبري، راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الاجلاء، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، د.ت.

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣ دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر٤٩٩هـ - ٥٧١ هـ،دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان/ ١٤١٥ ه / ١٩٩٥ م.

- تذكرة الخواص، لسبط بن الجوزي(ت ٦٥٤هـ) مؤسسة أهل البيت، بيروت، ١٤٠١هـ.

- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية (من مكة إلى المدينة)، إعداد هادي سعدون هنون، العتبة العلوية المقدسة، العراق، النجف الاشرف/ ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.

- جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، د صالح ملا عزيز، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة الاولى ٢٠١٠م.

- الحداثة، العولمة، الارهاب في ميزان النهضة الحسينية، محاضرات الشيخ محمد السند، تأليف الشيخ علي الأسدي، مكتبة فدك، ايران، قم، الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- الحسين سيد الشهداء، عباس محمود العقاد، منشورات الشريف الرضي. ط: ٢، د.ت

- حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي مطبعة الآداب النجف الأشرف الطبعة الأولى١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

- الخطاب الحسيني في معركة الطف، دراسة لغوية وتحليل، د. عبد الكاظم محسن الياسري، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الاولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- الرسالية في الثورة الحسينية، د. حسين الحاج حسن، دار الكرم، بيروت- لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.

- شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني(ت٦٧٩هـ)، مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي - الحوزة العلمية - قم - ايران، الطبعة: الأولى-١٣٦٢ ش

- الصورة الفنية في المثل القرآني: ٣٤٩، د. محمد حسي الصغير، دار الرشيد للنشر، العراق، الطبعة: الأولى: ١٤١٧ -١٩٨١

- علم النفس الاسلامي، د. محمود عبدالله محمد خوالدة: ٢٦، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الاردن: ٢٠٠٤.

- عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني الإصفهاني ﷺ، التحقيق والنشر: في مدرسة الإمام المهدي(عج)، قم المقدسة، الطبعة الأولى المحققة: سنة ١٤٠٧ هـ ق - ١٣٦٥ هـ ش.

- عيون أخبار الرضا، لأبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي قده المتوفى سنه ٣٨١، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ ه - ١٩٨٤ م

- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة/١٣٩٧ ه ١٩٧٧ م.

- في رحاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، الشيخ محمد مهدي الآصفي، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الاولى،١٤٢٧هـ

- قراءات في بيانات الثورة الحسينية وأبعادها الرئيسة، حبيب ابراهيم الهديبي، المؤسسة الاسلامية للبحوث والمعلومات، الطبعة الاولى١٤٢٣هـ.

- القراءة النفسية للنص الادبي العربي، الدكتور محمد عيسى، مجلة جامعة دمشق-المجلد ١٩-العدد ١+٢ -٢٠٠٣.

- الكامل في التاريخ تأليف، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت/١٣٨٥ ه - ١٩٦٥ م

- كتاب الفتوح، للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي المتوفى نحو سنة ٣١٤ ه / ٩٢٦ م، تحقيق على شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان/ الطبعة الأولى ١٤١١ ه - ١٩٩١م.

- كربلاء الثورة والمأساة، المحامي أحمد حسين يعقوب، مركز الغدير للدراسات الإسلامية الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى/١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

- اللهوف في قتلى الطفوف، تأليف: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني المتوفى ٦٦٤ هـ، الناشر: أنوار الهدى - قم - ايران.

- مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة الأولى/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، الجز الثالث، محمد جواد الطبسي، مركز الدراسات الاسلامية، مديرية دراسات عاشوراء، الطبعة الثانية/ ١٤٢٥ هـ.

- معالم المدرستين، الجزء الثالث، مصادر الشريعة الاسلامية واثر قيام الإمام الحسين عليه السلام في احياء سنة الرسول صلى الله عليه وآله، تأليف العلامة السيد مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٠ ه - ١٩٩٠م.

- معاني الأخبار، الشّيخ الصّدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ، ت٣٨١هـ، دار الكتب الإسلاميّة - طهران، ١٣٦١ ش.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مركز النشر - مكتب الاعلام الاسلامي: جمادي الآخرة ١٤٠٤هـ.

- مفردات ألفاظ القرآن، تأليف العلامة الراغب الأصفهاني، المتوفى في حدود ٤٢٥ هـ،تحقيق صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، الطبعة: الثانية/١٤٢٧هـ

- مقتل الحسين، أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكيّ أخطب خوارزم، ت ٥٦٨ هـ، مكتبة المفيد، قم.

- مقتل الحسين، عبد الرزّاق المقرّم، دار الثّقافة - قم ١٤١١ هـ.

- مقدمة في اصول الدين، الوحيد الخرساني، د.ت

- الموضوع السياسي في أدب الإمام الحسين عليه السلام، د. موسى خابط، مجلة العميد، العدد الثامن، السنة الثانية. محرم ١٤٣٥ هـ. كانون الاول ٢٠١٣ م.

- نهج البلاغة، وهوما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام شرح الإمام محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د. ت

- ينابيع المودة لذوي القربى، للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (١٢٢٠ - ١٢٩٤هـ) تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى/١٤١٦هـ.ق